ابن الحَجَّامِ القيرواني المالكي وأثره في الحياة العلمية بإفريقية والأندلس

منذ أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين

د/نورهان ابراهيم سلامه

ملخص عربي

كان الفقيه عبد الله بن مسرور القيرواني المعروف بابن الحَجَّامِ (ت٣٤٦ه/٩٥٨م)، من شيوخ المالكية الثقات الذين نقل عنهم العلم. وقد تتلمذ عليه كثير من طلاب العلم القيروانيين والأندلسيين، فسمعوا منه مصنفاته العلمية، وكتب الفقه المالكي، ومصنفات ابن سنجر الجُرجاني نزيل مصر، وهى مفقودة، برواية شيخه عيسى بن مسكين، ثم حدّثوا بها تلاميذهم بنواحيهم فذاعت هناك. ومع ذلك كان ابن الحَجَّامِ من العلماء الذين لم ينصفهم التاريخ، فلم ينل قدره من الاهتمام الذي يتناسب وقيمته العلمية. وتستهدف الدراسة إبراز ملامح دوره في الحياة العلمية بإفريقية والأندلس، وأثره في تشكيل ثقافة تلاميذه منذ أواخر القرن الثالث حتى قرابة منتصف القرن الرابع الهجريين، مما أهّل بعضهم ليصبحوا من أبرز شيوخ الفقه والحديث ببلادهم. وتستهدف الدراسة أيضًا إبراز موقف ابن الحَجَّامِ المعارض للمد الشيعي الفاطمي بإفريقية وتأثر تلاميذه القيروانيين بذلك، وميله نحو الزهد واقتداء تلاميذه القيروانيين والأندلسيين به.

Abstract In English

The jurist Abdullah ibn Masror al-Kairouani, known as Ibn al-Hajjam (T346Ah/958 AD), was one of the reliable Maliki sheikhs who were transferred from the flag, and many students of the Kairouan and Andalusian sciences studied it. They heard from him his scientific works, the books of Maliki jurisprudence, and the works of Ibn Sinjar al-Gurgani, the guest of Egypt, which is missing, in the novel of his sheikh Isa ibn Miskine, and then they talked to their disciples in their areas, and they went there.

Nevertheless, Ibn al-Hajjam was one of the scholars who had not been distinguished by history, and he did not receive the attention commensurate with its scientific value. The study aims to highlight the features of his role in the scientific life of Africa and Andalusia, and its impact on the formation of the culture of his disciples from the late 3rd century until the middle of the fourth century Hijri, which qualified some of them to

become the most prominent elders of jurisprudence and hadith in their country. The study also aims to highlight ibn al-Hajjam's position opposed to the Fatimid Shiite tide in Africa, influenced by his Kairouan disciples, and his propensity for asceticism and the example of his Kairouan and Andalusian disciples.

المقدمة

يذخر تاريخ الإسلام بشيوخ كبار أجلاء برزوا في العلوم الدينية، كالفقه، وعلوم القرآن الكريم، والحديث، وصَنّف بعضهم مصنفات قيمة في هذا المجال. وقد تحلق حولهم جموع من طلاب العلم من أبناء بلدانهم، وغيرهم، ممن تقاطروا عليهم من الآفاق، ونهل الجميع من فيض علمهم. بيد أن الباحثين المحدثين لم ينتبهوا إلى بعض أولئك العلماء، وغفلوا عن تناول سيرهم، ولم يسلطوا الضوء على مصنفاتهم ومروياتهم، ودورهم في التكوين العلمي لتلاميذهم، فصار بعضهم من العلماء المنسيين، رغم أثرهم العميق في الحياة العلمية ببلدانهم وغيرها من الأقطار من خلال تلاميذهم بها. وكان الفقيه عبد الله بن هاشم بن مسرور القيرواني المالكي المعروف بابن الحَجَّامِ (ت٣٤٦ه/٩٥٨م)، من الشيوخ الثقات الذين نُقل عنهم العلم بإفريقية، وقد ارتحل إليه بالقيروان كثير من طلاب العلم. ومع ذلك كان ابن الحَجَّامِ من العلماء الذين لم ينصفهم التاريخ، فلم ينل قدره من الاهتمام الذي يتناسب وقيمته العلمية.

وفي ذلك السياق تسلط الدراسة الضوء على صفحة منسية من صور التواصل العلمي بين إفريقية والأندلس منذ أواخر القرن الثالث حتى قرابة منتصف القرن الرابع الهجريين؛ فهى تتناول سيرة ابن الحَجَّامِ المالكي وآثاره العلمية، ومروياته عن مشاهير شيوخه، وذيوعها في إفريقية والأندلس، وموقفه المعارض للمد الشيعي ورجال الدولة الفاطمية بإفريقية وتأثر تلاميذه القروانيين به، إذ أغفلت الدراسات المختصة بالصراع المذهبي بين المالكية والشيعة في إفريقية ذلك[١]. وستكشف الدراسة عن ميل ابن الحَجَّامِ نحو الزهد واقتداء تلاميذه القيروانيين والأندلسيين به. وتكمن أهمية الدراسة في إبراز قيمة ابن الحَجَّامِ العلمية ودوره في الحياة العلمية بالأندلس، إذ أغفل الباحثون المتخصصون في دراسة التأثيرات الحضارية المتبادلة بين بلدان العالم الإسلامي أثره في تشكيل

[١] راجع: عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبى بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م، ص١٠٣-٢٠٧، إبراهيم علي الشهامي، أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الإنحرافات العقدية، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٢ه، ج٢ ص٥٠٠-٥٠٢، فاطمة بلهواري، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، دار المسك، الجزائر، ٢٠١١م، ص٢٦٦-٢٨٧.

ثقافة طلاب العلم الأندلسيين؛ فلم يُشر إليه محمود علي مكي في دراسته القيمة عن التيارات الحضارية المشرقية في الأندلس، كأحد شيوخ الفقه القيروانيين الذين درس عليهم أولئك الطلاب في طريقهم إلى المشرق لطلب العلم وعودتهم منه [٢]، ورغم إشارة بعض المتخصصين في الحياة العلمية بإفريقية إلى ابن الحَجَّامِ كأحد علماء القرن الرابع بها، فلم يشيروا إلى تلاميذه القيروانيين والأندلسيين [٣]، فكانت كتب التراجم المغربية والأندلسية خير معين لهذه الدراسة للتعريف بهم، وعلى مدى استفادتهم منه، وتأثرهم به.

وارتكزت الدراسة على المنهج التاريخي القائم على الوصف، والتحليل، والاستقراء للمصادر الأولية التي ترجم بعضها لابن الحَجَّامِ، وتضمنت إشارات عن شيوخه، وتلاميذه القيروانيين والأندلسيين، واحتوى بعضها الآخر على روايات مهمة عن الحركة العلمية في الأندلس، وبلدان المغرب، ومصر، والحجاز، وغيرها، حتى منتصف القرن الرابع الهجري. وأهم تلك المصادر: طبقات علماء إفريقية، وأخبار الفقهاء والمحدثين للخُشني، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، ورياض النفوس للمالكي، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد لابن عبد البر القرطبي، وجذوة المقتبس للحُميدي الميورقي، وترتيب المدارك للقاضي عِياض، وفهرسة ابن خير الإشبيلي، ومعالم الإيمان للدباغ. ووقفت على مادة علمية ثرية تخدم موضوع الدراسة فى كتب التراجم المشرقية، ومنها: تذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وتجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة لابن حجر العسقلاني، وغيرها، وأفاد كتاب توضيح المشتبه لابن ناصر الدمشقي في غير موضع من الدراسة.

وقسمت الدراسة إلى مقدمة، ودراسة تمهيدية، وسبعة مباحث. وتضمنت المقدمة موضوع الدراسة، وأهميتها، ومنهجها، وأهم مصادرها. وتحدثت في الدراسة التمهيدية عن المدرسة الفقية المالكية التي انتسب إليها ابن الحَجَّامِ وهيأت له التأثير بعمق في الحياة العلمية بإفريقية والأندلس، فأشرت إلى نشأة تلك المدرسة في البلدين وازدهارها بهما حتى منتصف القرن الثالث الهجري. وأفردت المبحث الأول لإلقاء الضوء بإسهاب على سيرة عبد الله بن مسرور القيرواني المعروف بابن الحَجَّامِ، وخصصت المبحث الثاني للحديث عن جلوسه لنشر العلم بالقيروان، والتعريف بتلاميذه المغاربة والأندلسيين، وأشرت في المبحث الثالث إلى منهج ابن الحَجَّامِ في رواية الحديث

---

[٢] Makki (Mahmud Ali), Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana, Madrid, 1968.

[٣] يوسف أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، جامعة أم القرى، مكة، ١٤١٩ه، ص١٣٤، ٣٥٤-٣٥٥.

ووجوه استفادة تلاميذه منه، فإذا ما كان المبحث الرابع كشفت عن موقفه من التيار الشيعي في إفريقية، ثم تحدثت في المبحث الخامس عن ميل ابن الحَجَّامِ نحو الزهد واقتداء تلاميذه القيروانيين والأندلسيين به، وعرضت في المبحث السادس لمروياته التي نقلها عنه طلاب العلم الأندلسيين إلى بلادهم وقاموا بنشرها هناك، وفي المبحث السابع تحدثت عن وفاته واستمرار أثره العلمي غير المباشر في إفريقية والأندلس. وختمت الدراسة بخاتمة تُجْمِل أغراضها واستنتاجاتها، ثم أوردت ثبتًا بالمصادر الأصلية، وأمهات المراجع العربية، والمعربة، والأجنبية.

الدراسة التمهيدية

نشأة المدرسة المالكية في إفريقية والأندلس وازدهارها حتى منتصف القرن الثالث الهجري

ينسب المذهب المالكي إلى مالك بن أنس شيخ الأئمة، وإمام دار الهجرة (٩٣-١٧٩ه/٧١١-٧٩٥م)، ويتسم هذا المذهب بميله إلى النص أكثر من القياس[٤]. وقد انتشر في الحجاز أولًا، ثم حمله تلاميذ الإمام مالك إلى اليمن، والعراق، وبعض نواحي بلاد فارس، والشام، وقد انتشر بمصر وغلب عليها وأطبق أهلها على الاقتداء به[٥]. وكانت بلاد المغرب تدين ببعض مذاهب أهل السنة والجماعة قبل دخول المذهب المالكي، ومنها: الثوري، والأوزاعي، والحنفي، وقد كشف القاضي عياض عن ذلك، فقال: " وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين " [٦]، وكانت بلاد المغرب تدين أيضًا ببعض مذاهب الخوارج، كالصفرية، والإباضية[٧].

وقد نشأت المدرسة الفقهية المالكية بإفريقية على يد تلاميذ الإمام مالك القيروانيين الذين رحلوا إليه بالمدينة وسمعوا منه، وأخذوا عنه، وعادوا إلى القيروان يبثون علمه وينشرون فقهه، فقد هيأت الرحلة في طلب العلم خلال القرن الثاني للمغاربة التتلمذ على كبار أئمة المشرق وأبرزهم الإمام مالك[٨]. وكان عدد الأفارقة الذين رحلوا

---

[٤] تراجمه مبثوثة في مظان مشرقية ومغربية كثيرة. وأوفى ترجمة له عند القاضي عياض (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، م١ ص٤٤-١٣٥، محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره وآراؤه الفقهية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ١-١٧.

[٥] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٤-١٥.

[٦] المصدر السابق، م١، ص١٥.

[٧] لمزيد من التفاصيل عن انتشار مذاهب الخوارج الصفرية والإباضية في بلاد المغرب، راجع: محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص٤٤- ٥٧.

[٨] عمر الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، المغرب، ١٩٨٧م، ص١٥.

إليه يربو على الثلاثين، وفي ذلك يذكر عياض نقلًا عن الخشني: " كانت إفريقية قبل رحلة سحنون قد غمرها مذهب مالك بن أنس، لأنه رحل منها أكثر من ثلاثين رجلًا، كلهم لقي مالك بن أنس، وسمع منه، وإن كان الفقه والفتيا إنما في قليل منهم، كما ذلك في علماء البلاد " [٩]. وقد احتفظت كتب التراجم والطبقات بأسماء مشاهير الفقهاء القيروانيين الذين رحلوا إلى مالك وسمعوا منه، ونقلوا مذهبه إلى بلادهم، ومنهم: علي بن زياد العبسي[١٠]، وعبد الله بن عمر بن غانم[١١]، والبهلول بن راشد[١٢]، وعبد الله بن فروخ الفارسي[١٣]، وعبد الرحيم بن أشرس[١٤]، وأبو محرز القاضي محمد بن عبد الله[١٥]، وسقلاب بن زياد[١٦]، وحاتم بن عثمان المعافري، وأخوه أبو طالب، وعنبسة بن خارجة، وعبد الله بن أبي حسان اليحصبي، ورباح بن ثابت، وعبد الله بن أبي غسان، وعبد الرحمن بن الجهم، والأقرع بن بكار، وزرارة بن عبد الله [١٧].

ويعتبر الفقيه الثقة علي بن زياد (ت١٨٣ه/ ٧٩٩م)، المؤسس الفعلي للمذهب المالكي في إفريقية، فكان كما ذكر المالكي " أول من أدخل المغرب موطأ مالك، وفسر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه "[١٨]. وقد صنف علي بن زياد كتابًا بعنوان " خير من زنته " صنف فيه مسائل الفقه المالكي وبوبها، وخرجها كتبًا على مواضيع الأحكام

---

[٩] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٤٢، الدباغ، معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، المطبعة العربية التونسية، تونس، ١٣٢٠هـ، ج١ ص٢٠٨، نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، دار تبر الزمان، تونس، ٢٠٠٤م، ص٧، ٢٠-٣٧، أرزاق سعدان، انتشار المذهب المالكي خلال عصر الأغالبة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، الجزائر، ٢٠١٤م، ص٦٦.

[١٠] الخشني، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، بدون تاريخ، ص٤٢، ٢٥١-٢٥٣، المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٤م، ج١ ص٢٣٤-٢٣٧، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٨٥-١٨٧.

[١١] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٣٢-٣٣، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٧٩-١٨٥.

[١٢] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٥٢-٦١، المالكي، رياض النفوس، ج١ ص٢٠٠-٢٠١، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٨٨-١٩٤.

[١٣] المالكي، رياض النفوس، ج١ ص١٧٦-١٨٧، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٩٤-١٩٩.

[١٤] الخشني، كتاب طبقات علماء إفريقية، ص٢٥٣، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٨٧-١٨٨.

[١٥] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٨٤، المالكي، رياض النفوس، ج١ ص٢٧٤-٢٨٠.

[١٦] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٦٢.

[١٧] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٧١-٧٨، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٧٨-٢٨٤.

[١٨] المالكي، رياض النفوس، ج١ ص٢٣٤، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٨٦.

الفقهية[١٩]، وكان تلميذه أسد بن الفرات (ت٢١٣هـ/828م)، يدخل على الإمام مالك ويأخذ منه، ثم لزم أصحابه من بعده[٢٠]، فكان له أكبر الأثر في تدوين الفقه المالكي من خلال كتابه المعروف بالأسدية، فأخذ به كثير من الناس وكتبوه عنه [٢١]، ولم يزل المذهب المالكي يفشو إلى أن جاء سحنون بن سعيد (ت٢٤٠هـ/854م)[٢٢]، وكان إمام الناس في علم مالك[٢٣]، وإليه انتهت الرئاسة في العلم بالمغرب، فقد كان فقيه أهل زمانه[٢٤]، فغلب المذهب المالكي في أيامه حتى " صار زمانه مبتدئًا قد امحى ما قبله "[٢٥]، وقد صنف سحنون المدونة، وهى من أمهات كتب المذهب المالكي، وأصله المرجح روايتها على غيرها عند المغاربة، ولم يكن بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد منها[٢٦]، وقد استقر المذهب المالكي بعد سحنون في أصحابه فشاع في بلادهم[٢٧]؛ وذكر عياض" وحصل له من الأصحاب ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك، وعنه انتشر علم مالك في المغرب[٢٨]. وقد أسهمت ولاية سحنون للقضاء وتقليده أصحابه في المناصب الدينية في غلبة المذهب المالكي، ثم نشأ الناس كما ذكر ابن حزم الأندلسي على ما أنتشر[٢٩].

وكان محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، إمام الناس في المذهب المالكي بإفريقية بعد أبيه، وكان ثقة بهذا المذهب مدافعًا عنه، وكان عالمًا مبرزًا، ولم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه، وألف مصنفات كثيرة في الفقه عامة، والمالكي خاصة، منها: كتابه المشهور الجامع، وجمع فيه فنون العلم والفقه، وكتاب تفسير الموطأ أربعة

---

[١٩] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٨٦.

[٢٠] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٧٠-٢٧٧.

[٢١] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٧٢-٢٧٣.

[٢٢] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٠١-١٠٤، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٣٩-٣٦٣.

[٢٣] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٤٣.

[٢٤] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٤٣.

[٢٥] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٤٢.

[٢٦] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٧٤، ٣٤٣.

[٢٧] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٥، محمد الكتاني، المذهب المالكي بالمغرب والأندلس، ضمن بحوث الملتقى الإسباني المغربي الثاني، غرناطة، ١٩٨٩م، ص١١٩-١٢٠.

[٢٨] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٤٣.

[٢٩] ابن حزم، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢ ص٢٢٩، الحميدي، جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٣٨٣، ابن سعيد، المغُرب في حلي المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م، ج١ ص١٦٤.

أجزاء، فانتفع الناس منها [٣٠]. ويعزى انتشار المذهب المالكي في إفريقية أيضًا إلى تلاميذ مالك المدنيين الذين قدموا القيروان ونشروا بها علمه، فالخشني يذكر أن عبد العزيز بن يحيى المدني، وكان قد سمع المؤطأ من مالك، وغيره، قد قدم القيروان سنة ٢٢٥هـ/840م، وخرج أول سنة ٢٢٦هـ/841م[٣١]. وساعد على تدعيم المذهب المالكي وتثبيته في إفريقية تأييد وتعاطف الحكام الأغالبة معه بسبب انتشاره الواسع في أوساط السكان، والدور الذي كان يقوم به العلماء في الحياة العامة وفي تقوية الصلة بين الدولة والشعب[٣٢]، وقد استفاد علماء المالكية من هذه الوضعية الملائمة لتركيز المذهب المالكي، ومنع حلقات الصفرية، والإباضية، والمعتزلة، بجامع القيروان[٣٣].

وحين بدأت بلاد الأندلس بالانفتاح على الحضارة الحجازية في عهد الأمير الأموي هشام الرضا (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٩- ٧٩٦م)، دخل إليها المذهب المالكي بفضل جهود شيوخ المالكية الأوائل من الأندلسيين، فقد أدخلوا مُوطأ الإمام مالك " وأبانوا للناس فضله، واقتداء الأئمة به، فعُرف حقه ودرس مذهبه " [٣٤]. وقد تحول أهل الأندلس عن المذهب الأوزاعي حين اعتمد الأمير هشام الرضا المذهب المالكي مذهبًا رسميًا للأندلس، وأخذ الناسَ جميعًا بالتزامه " وصيّر القضاء والفتيا عليه " [٣٥]. ومن أعلام المالكية الأندلسيين الذين لقوا مالكًا وسمعوا منه:

---

[٣٠] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٢٩-١٣٢، المالكي، رياض النفوس، ج١ ص٤٤٣-٤٥٩، ج٢ ص١٥٣، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٤٢٤-٤٣٣، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص١٢٢-١٣٦.

[٣١] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٧٨.

[٣٢] الحبيب الجنحاني، القيروان عبر عصور ازدهارها، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م، ص١٥٩.

[٣٣] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٥، فاطمة بلهواري، الفاطميون وحركات المعارضة، ص٢٦٣-٢٦٤، أرزاق سعدان، انتشار المذهب المالكي خلال عصر الأغالبة، ص٦٢.

[٣٤] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٥.

[٣٥] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصرى- اللبنانى، القاهرة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٥٦، الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٩٥-٩٨، ٣٤٨-٣٦٧، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١ ص١٥٤-١٥٥، ق٢ ص١٧٩-١٨١، ابن حيان، المقتبس من أنْباءِ أهلِ الأنْدَلُسِ، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م، ص٨٣-٨٤، ٩٩، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٨٣-٣٨٤، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص١٥، ٢٠٠- ٢٠٣، ٣١٠-٣١٧، ابن سعيد، المغرب، ج١ ص١٦٣-١٦٥، المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، م٢ ص٥- ١٢، ٤٥-٤٦، م٣ ص١٦٧-١٦٨، السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ج١ ص٥٤- ٥٥، مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، نشأة وخصائص، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٩٩٧م، ص٢٤-٣٦،

الغازي بن قيس القرطبي، وقد انصرف إلى الأندلس بعلم عظيم، نفع الله به أهلها، وهو أول من أدخل موطأ مالك [٣٦]، وزياد بن عبد الرحمن شبطون، وقيل إنه كان " أول من أدخل موطأ مالك، متقفًا بالسماع منه "[٣٧]، ومنهم: سعيد بن أبي هند [٣٨]، ومحمد بن بشير، وكان يوجه تلاميذه إلى دراسة الموطأ دون غيره[٣٩]. ولقى يحيى بن يحيى الليثي مالكًا في السنة التي مات فيها (١٧٩هـ/٧٩٥م)، فسمع منه الموطأ، ورحل مرة ثانية فحج ولقى جملة أصحاب مالك، خاصة عبد الرحمن بن القاسم العتقي، وهو من كبار المصريين وفقهائهم، وبه تفقه، وقدم الأندلس بعلم كثير، فروى عن شيخه ابن القاسم، وكان يفتي برأي مالك[٤٠].

ويعزى انتشار المذهب المالكي في الأندلس أيضًا إلى طلاب العلم الأندلسيين الذي تتلمذوا على أصحاب الإمام مالك؛ فقد صحب عيسى بن دينار (ت٢١٢هـ/827م)، عبد الرحمن بن القاسم ولزمه بمصر، وعول عليه، وانصرف إلى الأندلس فكان أول من أدخل إليها رأي ابن القاسم، [٤١]، وأصبح ابن دينار إمامًا في الفقه المالكي، ودارت الفتيا عليه [٤٢]، " فانتشر به وبيحيى علم مالك في الأندلس "[٤٣]. ولقى عبد الملك بن حبيب في رحلته العلمية المشرقية بعض أصحاب مالك، وتفقه عليهم، فأخذ الموطأ عن مطرف بن عبد الله المدني، وهو من أوثق أصحاب

Lopez Ortiz (Jose), La recepcion de la Escuela Malequi en Espana, Madrid, 1930, pp.143 - 152, Lévi Provençal, Historia de Espana, por Ramon Menedes Pidal, Madrid, 1957, pp.96- 98, Makki, op. cit., 90-98.

[٣٦] الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٢٩١– ٢٩٢.

[٣٧] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٠٠.

[٣٨] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١ ص١٥٩، الحميدي، جذوة المقتبس، رقم ٤٨٦ ص٢٣٥، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٠٣، مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية، ص٤٠، ٤٣.

[٣٩] الخشني، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصرى– اللبنانى، القاهرة، بيروت، ١٩٨٩م، ص٧٣، ٨٦، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٨٦.

[٤٠] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٥١، ٣١١–٣١٢، ابن سعيد، المغرب، ج١ ص١٦٤، مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية، ص١٠٨–١٠٩. وعن ترجمة ابن القاسم، راجع: عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٥٠–٢٥٩.

[٤١] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٧٣.

[٤٢] الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٢٧٠، وله أيضا: قضاة قرطبة، ص٧٢، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١ ص٣٣١، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٩٨، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٥١، ٢٥٦، ٣٧٢–٣٧٣، الضبي، بغية الملتمس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٤٠٢.

[٤٣] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٧٤.

مالك، وانصرف عائدًا إلى الأندلس وقد جمع علمًا عظيمًا، هيأه ليصبح من الحفاظ للفقه المالكي النابهين فيه، والمدافعين عنه[٤٤]، ومن مؤلفاته: كتاب تفسير الموطأ، والواضحة في مذهب مالك، فانتفع الناس بهما [٤٥]. ويعزى انتشار المذهب المالكي في الأندلس أيضًا إلى الإمام سحنون بن سعيد؛ فقد رحل إليه بالقيروان كثير من طلاب العلم الأندلسيين، وأخذوا منه تعاليم المذهب المالكي، والمدونة أشهر مصنفاته[٤٦]، وعند عودتهم إلى بلادهم رووا عنه[٤٧]. وختامًا: فقد كان تعضيد الحكام الأمويين للمذهب المالكي وعلمائه على حساب المذاهب الأخرى، سببًا في انتشاره وهيمنه في الأندلس، ودلل ابن حزم على ذلك بقوله: " مذهبان انتشرا في بادئ أمرهما بالسياسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة، ومذهب مالك بن أنس " [٤٨].

(١) سيرة عبد الله بن مسرور القيرواني المعروف بابن الحَجَّامِ

١/١ اسمه وكُنيته ونسبه ولقبه

عبد الله بن أبي القاسم (أبي هاشم) مسرور مولى بني عبيد التجيبي، المكنى أبي محمد، المعروف بابن الحَجَّامِ [٤٩]، الإفريقي[٥٠]. وقيل أيضًا: ابن الحَجَّامِ المغربي[٥١]. ونستدل من تلك الروايات على بساطة المكانة الاجتماعية

---

[٤٤] الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٢٤٥، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١ ص٢٦٩-٢٧٠، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٨٢، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٨٢، الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧٧، مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية، ص٣٧٦-٣٧٩.

[٤٥] الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٢٤٥، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١ ص٢٧٠، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٨٢، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٨٢-٣٨٤، الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧٧، ميكلوش موراني، دراسات فى مصادر الفقه المالكى، نقله عن الألمانية الدكتور سعيد بحيري وآخرون، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٦-٥٢، ١٥٤.

[٤٦] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٤٣، مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية، ص٣٧٤.

[٤٧] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، أرقام ٧ – ١٣ ، ٢٢ ، ٥٩ – ٦٠ ، ٦٧ ، ٩٧٧.

[٤٨] ابن حزم، نقط العروس، ضمن رسائل ابن حزم، ج٢ ص٢٢٩، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٨٣، ابن سعيد، المغرب، ج١ ص١٦٤.

[٤٩] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٦، المالكي، رياض النفوس، ج٢، رقم ٢٥٨ ص٤٢٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٥.

[٥٠] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ ص٥٠٥.

لأسرة عبد الله بن مسرور؛ فوالده كان من الموالي، وكان يمتهن مهنة الحَجَّامِة، ولُقب عبد الله بن مسرور بابن الحَجَّامِ فيما يبدو، لاشتغال والده بتلك المهنة.

٢/١ مولده ومنشأه ومذهبه

اتفق غالبية الكُتاب الذين ترجموا لابن الحَجَّامِ أنه ولد بالقيروان سنة ٢٦٣ه/٨٧٦م[٥٢]. غير أن ابن فرحون انفرد بأنه مولده كان سنة ٢٧٣ه/٨٨٦م[٥٣]. ويبدو أن الصواب قد جانب ابن فرحون، ومَنْ أخذ برأيه من المحدثين[٥٤]، فقد شاخ عبد الله بن مسرور وَعُمِّر حتى بلغ ثَلاَثٌ وَثَمَانُوْنَ سَنَةً [٥٥] . مما يجعل مولده سنة ٢٦٣ه/٨٧٦، وليس سنة ٢٧٣ه/٨٨٦م، كما ذكر ابن فرحون. وقد اعتنق عبد الله بن مسرور المذهب المالكي واشتهر به[٥٦]، وكان يلقب بشَيْخ المالكِية بِالقيروان [٥٧] .

٣/١ تكوينه العلمي بإفريقية ورحلته إلى مصر ومراكز الثقافة الإسلامية المشرقية

١/٣/١ سماعه على شيوخ بلده

نستدل من الروايات أن ابن الحَجَّامِ طلب العلم وبدأ السماع في سن صغيرة؛ وأنه كان يفهم ويضبط فيما نعتقد دون العاشرة من عمره، شأنه في ذلك شأن بعض النابهين من طلاب العلم القيروانيين[٥٨]؛ فقد مات بعض مشاهير شيوخ ابن الحَجَّامِ الذين سمع منهم، كما سنرى، قبل أن يبلغ الثانية عشر من عمره. وقد أَخَذَ ابن الحَجَّامِ

---

[٥١] محمد بن عبد الرحمن المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية للنشر، القاهرة، د.ت، ج٥ ص١٨٤.

[٥٢] المالكي، رياض النفوس، ج٢، رقم ٢٥٨ ص٤٢٣، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٦.

[٥٣] ابن فرحون، الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق د. محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ج١ ص١٢٤.

[٥٤] محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه عبد المجيد خيالي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٣م، ج١ رقم ٢٠٩ ص١٢٧، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م ،ج٤ ص١٤٣.

[٥٥] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٦.

[٥٦] الزركلي، الأعلام، ج٤ ص١٤٣، المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ج٥ ص١٨٤.

[٥٧] الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٦ .

[٥٨] حفظ بعض طلاب العلم القيرانيين القرآن الكريم في سن الثامنة، والموطأ في سن الخامسة عشر (الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٢٧).

عَنْ جَمَاعَةٍ بإفريقية، وَسَمِعَ مِنْهم [٥٩]، نذكر منهم: عيسى بن مسكين بن منصور بن جريج الإفريقي (ت٢٧٥ه/٨٨٩م) [٦٠]، وكان أكثر سماع ابن الحَجَّامِ منه، وقد أجازه عيسى بن مسكين جميع مسموعاته منه[٦١]، ونظرًا لهذه العلاقة الوثيقة بينهما عرف ابن الحَجَّامِ بصاحب عيسى بن مسكين[٦٢]. وكان عيسى بن مسكين قد انصرف من رحلاته العلمية المشرقية إلى إفريقية بعلم كثير، وأقام بكورة الساحل بإفريقية[٦٣]، يفتي الناس ويُحدثهم، فكان يحضر مجلسه كثير من العُباد وطلاب العلم، فتبوأ مكانة علمية سامقة، فصنف كتبًا كثيرة فى الفقه والآثار،

[٥٩] رغم أن المالكي قد ترجم لابن الحجام، غير أنه لم يذكر شيوخه، واكتفى بقوله: " سمع من جماعة " (رياض النفوس، م٢ ص٤٢٢).

[٦٠] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٦، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣ ص٥٧٣، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٥. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي، ٢٠٠٢م، ج٢ ص٩١٤ – ٩١٥. صحب سحنون بن سعيد وابنه محمد وسمع منهما كتبهما، وسمع أيضًا من غيرهما من علماء القيروان، والمغرب. ورحل فسمع بمصر من الحارث بن مسكين، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ويونس بن عبد الأعلى، وغيرهم، ولقى بالشام جلة من العلماء وسمع منهم، وكان شاعرًا عالمًا باللغة. وكان يشبه سحنون فى سمته وهيئته، ومناقبه كثيرة (الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٤٢-١٤٣، المالكي، رياض النفوس، ج١ ص٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٩، ٣٧١، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٩٢-٢٩٣، ٥٠١، النباهي، تأريخ قضاة الأندلس، تأريخ قضاة الأندلس، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ١٩٨٣م، ص٣٠-٣١، ١٦٨، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، تونس، ١٩٨١م، ق٢ ص١٠٢-١٠٥، محمد الطالبى، الدولة الأغلبية " التاريخ السياسي " ١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م، نقله إلى العربية د. المنجى الصّيادى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢٩٨-٧٥٨،٥٩٥،٣٢١،٣٠١).

[٦١] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص١٢٤، مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١ رقم ٢٠٩ ص١٢٧.

[٦٢] الحميدي، جذوة المقتبس، رقم ٦٧١ ص٢٩٦، الضبي، بغية الملتمس، رقم ١١٣٤ ص ٤٠٠ .

[٦٣] تقع جنوب القيروان وبينهما مسيرة يوم. وهى ليست بساحل البحر. وكانت كثيرة السواد من الزيتون والشجر والكروم، ولذلك عرفت بسواد الزيتون، وعرف أهل الساحل بأهل السواد. وهى قرى كثيرة متصلة بعضها في بعض كثيرة (اليعقوبي، كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج١ ص١٨٩، البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ، ص٢٤، ٣١).

وكان متفننًا فى الحديث، والفقه، وأسماء الرجال وكناهم، وقويهم وضعيفهم، وكان ثقة مأمونًا، فصار شيخ المالكية بالمغرب وفقيه أهل إفريقية [٦٤].

وسمع ابن الحَجَّامِ أيضًا من بعض الفقهاء الثقات، نذكر منهم: أحمد بن موسى بن مخلد المعروف بعيشون (ت٢٧٥هـ/٨٨٩م) [٦٥]، وحمديس القطان (ت٢٨٩هـ/٩٠٣م) [٦٦]، وأحمد بن أبي سليمان داود ويعرف بالصوافي (ت٢٩١هـ/٩٠٤م)[٦٧]، ومن شيوخ ابن الحَجَّامِ أيضًا: فرات بن محمد العبدي (ت٢٩٢هـ/٩٠٥م)[٦٨]، ولم يسمع منه هو وغيره من طلاب العلم كتبًا، إنما سمعوا حكايات فقط، لإشتغاله بالعبادة [٦٩]، والفقيه المحدث سعيد بن إسحاق (ت٢٩٤هـ/٩٠٨م)،[٧٠]، وقد أخذ منه بالقيروان عندما كان يقدم من قصر الطُوب أحد قصور العُبّاد قرب مدينة

---

[٦٤] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٤٢-١٤٣، الشيرازي، طبقات الفقهاء، حققه وقدّم له د. إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص١٥٩، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٩٢-٢٩٣، ٣٤٣، ٥٠١، ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، ج٢ ص٢٢٠.

[٦٥] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٤. من العجم (الفرس) وينتمي الى غافق. وكان معدودًا في كبار أصحاب سحنون، وعليه اعتمد. ورحل فسمع من عبد العزيز بن يحيى المدني، وأبي إسحاق البرقي، وهارون بن سعيد الإيلي، وجلة. وكان عالمًا بأخبار علماء إفريقية (عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٥٢٥-٥٢٦، ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ج١ ص١٤٤-١٤٥، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص١٤٨-١٤٩، محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١ ص١٠٨).

[٦٦] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٤. كان من أصحاب سحنون، ورحل فلقى بمصر أصحاب ابن وهب، وابن القاسم، وأشهب، وغيرهم. وكان مشهورًا بالفضل. وعن ترجمته، راجع: الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٣٤، ٥٣، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١١٣، ١٤٥، ١٤٧، المالكي، رياض النفوس، ج١ ص٤٨٨، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥١-٥٢٠، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٠١-٢٠٥.

[٦٧] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٠٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٥. كان من مقدمي رجال سحنون، وكان حافظًا للفقه، مقدمًا فيه، وهو أحد كبار المالكية ووجوههم. وكان يصبر على السماع، فأسمع الناس عشرين سنة، وكان أديبًا شاعرًا (الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٣٩-١٤٠، المالكي، رياض النفوس، ج١، رقم ١٦١ ص٥٠٥-٥١٣، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥١٠-٥١٢، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٠٧-٢١٤).

[٦٨] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤.

[٦٩] الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٠١.

[٧٠] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤. مولى كلب وكان من رجال سحنون بن سعيد، والرواية وكان جماعًا للحديث، فسمع بإفريقية من عون بن يوسف، وجماعة، وسمع بمصر من محمد بن عبد الحكم، وجماعة (الخشني، طبقات علماء

سوسة " فيأتيه الناس فيسمعون منه " [٧١]، وسمع ابن الحَجَّامِ أيضًا: من محمد بن مسكين أخي عيسى بن مسكين (ت٢٩٧هـ/٩١١م)[٧٢]، وكان من أهل العلم، ثقة، عاقلًا، وكان فقيهًا يصنع الشعر ويجيده، وأقام بكورة الساحل بإفريقية يفتي ويُحدث الناس[٧٣]، وسمع ابن الحَجَّامِ أيضًا: من عمر بن يوسف، والمغامي[٧٤]، وكان أبو عمر يوسف بن يحيى المغامي مشهورًا برواية الواضحة، وسمعها منه خلق كثير من تلاميذه [٧٥]، فمن المرجح أن يكون ابن الحَجَّامِ قد سمعها منه، وغيرها من كتب المالكية. و وسمع ابن الحَجَّامِ أيضًا: من الفقيه الثقة أبي عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي السوسي (ت٣١٣هـ/٩٢٧م)[٧٦]، وغيرهم من شيوخ إفريقية [٧٧]، والقيروان [٧٨].

القيروان، ص١٥٢، المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص١٢-١٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٥٥، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١ ص١٤٤-١٤٥).

[٧١] وكان ساكنًا بقصر الطوب يقيم به شهورًا، ثم يقدم إلى القيروان فيقيم شهورًا، فيكثر الناس للسماع عليه (المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص١٢-١٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٥٥).

[٧٢] المالكى، رياض النفوس، ج٢ ص٤٢٢-٤٢٤، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٤. وكان يصغر أخيه عيسى بن مسكين بثلاث سنين، وسمع من سحنون، وابنه، وغيرهم من أجلة إفريقية، ورحل مع أخيه في رحلته الثانية إلى مصر، وشاركه فى أكثر رجاله، منهم: الحارث بن مسكين، ومحمد بن عبد الحكم، ومحمد بن سَنْجَر (الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٧، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥٠١-٥٠٢، قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ج٢ ص٧٧١-٧٧٢).

[٧٣] المالكى، رياض النفوس، ج٢ ص٤٢٢-٤٢٤، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥٠١-٥٠٢.

[٧٤] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٤، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص١٢٣.

[٧٥] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٨٠، ١٥٩، ١٧٠.

[٧٦] الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧. وهو عراقي الأصل، واستوطن إفريقية، وأحدث بها نهضة فقهية، إذ أدخل القيروان كثير من مؤلفات كبار علماء المالكية المشارقة، ولم تكن قد دخلت البلاد من قبل. عن ترجمته انظر: الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٦، ١٠، ١١٨، ١٦٧، ١٦٨، المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص١٨١-١٨٢، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٥٥، ابن فرحون، الديباج، ج٢ ص١٨٨، محمد بن الحسن الحجوي الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢ ص١٠٤، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ق٢ ص١٤٢-١٤٣، يوسف أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس، ص٣٥٢.

[٧٧] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٤.

[٧٨] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٦، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، ج٢ ص٩٤.

وجدير بالذكر أن الدباغ انفرد برواية عن تتلمذ ابن الحَجَّامِ على محمد بن سحنون وسماعه منه[٧٩]. وقد جانب الدباغ الصواب في ذلك، فإن محمد بن سحنون مات سنة ٢٥٦ه/٨٧٠م [٨٠]، قبل مولد ابن الحَجَّامِ سنة ٢٦٣ه/٨٧٦م. ومن المرجح أن يكون ابن الحَجَّامِ سمع من أحد أبناء محمد بن سحنون، وأن اسمه سقط من ناسخ كتاب معالم الإيمان. وكان لمحمد بن سحنون عدد من الأبناء النجباء، منهم: أبو سعيد محمد بن محمد بن سحنون (ت٣٠٧ه؟/٩٣١م)[٨١]، وأبو حبيب سعيد بن محمد بن سحنون (ت٣١٠ه/٩٣٤م)[٨٢].

وتتلمذ ابن الحَجَّامِ أيضًا على بعض العلماء الأندلسيين الذين نزلوا بإفريقية، وبعض الذين لقيهم في مراكز الثقافة الإسلامية المشرقية وأخذ منهم، ونذكر منهم: يحيى بن زكريا الأموي الأندلسي (ت٣٢٧ه/٩٦١م)[٨٣]، وعبد الله بن سهل الأندلسي[٨٤]. واختلف بعض الكُتّاب حول سماع ابن الحَجَّامِ من الإمام الثبت الفقيه الثقة أبي زكرياء يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني الأندلسي السوسي (ت٢٨٩ه/٩٠٣م) [٨٥]؛ فذكر الخشني أنه سمع منه[٨٦]،

---

[٧٩] الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧.

[٨٠] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٢٩-١٣٢، المالكي، رياض النفوس، ج١ ص٢٤٣، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٤٣١، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص١٣٤.

[٨١] المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص١٥٢-١٥٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٣٤٥-٣٤٩. أصغر ولد محمد بن سحنون، فقد ولد سنة وفاة والده (٢٥٦هـ/٨٧٠م)، فلم يقرأ عليه، وإنما سمع من رجال جده سحنون بن سعيد. وكان محمد بن محمد بن سحنون رجلًا صالحًا فاضلًا، ذا ورع وعقل وصلاح، وكان أوحد زمانه عبادة وفضلًا (المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص١٥٢-١٥٥، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٤٣٣، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٣٤٥-٣٤٩).

[٨٢] الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥. وكان رجلًا صالحًا من العباد المبرزين، والزهاد المجتهدين، وسمع من أبيه (الدباغ، المصدر السابق، ص٥).

[٨٣] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٤. محدّث أندلسي. روى عن خاله إبراهيم بن قاسم بن هلال، عن فطيس السّبائي، عن مالك بن أنس. روى عنه أحمد بن يحيى بن زكريا (ابن يونس الصدفي، تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ج٢ رقم ٦٧٥ ص٢٥٣، ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ج٥ ص٨-٩، الضبي، بغية الملتمس، رقم ١٤٧٣ ص٥٠٣) .

[٨٤] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤.

[٨٥] من موالي بني أمية، من أهل جيان Jaen بجنوب الأندلس، ونشأ بقرطبة Cordoba، وسكن القيروان، واستوطن سوسة آخرًا وبها قبره. وعداده في الإفريقيين. سمع بإفريقية من سحنون ويحيى بن سليمان، ورحل إلى المشرق، فسمع حديثًا كثيرًا. فلقى حرملة بن يحي، وكان يروي عن الزهري صاحب الإمام مالك، وأبا المصعب فقيه أهل المدينة، وكان يروي الموطأ عن يحيى بن بكير، ثم انصرف إلى القيروان، فصار فقيهًا حافظًا للرأي، متقدمًا في الحفظ، وكان له كرسي

وذكر بعض العلماء أنه لم يدرك يحيي بن عمر، فكان أبو الحسن القابسي تلميذ ابن الحَجَّامِ يؤكد لمن ذكر ذلك أن سماع ابن الحَجَّامِ من يحيي بن عمر صحيحًا، غير أن هذا السماع كان متأخرًا بسبب انقطاع ابن الحَجَّامِ أولًا [٨٧]. ونستدل من الروايات على صحة سماع ابن الحَجَّامِ من يحيى بن عمر، فقد تأثر بمنهجه العلمي وعلاقته بتلاميذه تأثرًا عميقًا؛ فكان ابن الحَجَّامِ مهيبًا في نفسه، وَكَانَ عَلَى مَجْلِسه مَهَابَة وَسَكِيْنَة، لا يكاد أحد من طلابه ينطق في مجلسه بغير الصواب، كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوْسهُم الطَّير " وكان يُشبَّه في أموره كلها بيحيى بن عمر وبحمديس القطان " [٨٨]. ويقصد بتلك الأمور؛ الهيبة، فكان يحيى بن عمر ذا هيبة، وكان من أهل الوقار والسكينة تأدب في ذلك بأدب مالك[٨٩]. وكان حمديس القطان شديدًا في مذاهب أهل السنة، وكان ذا غلو عظيم في النهي على من ينحرف عن طريقة أهلها، لا يسلم على أحد منهم، ومجانبًا لأهل الأهواء[٩٠]. ومن المرجح أن ابن الحجام قد اقتدى أيضًا بشيخه عيسى بن مسكين، فقد كان ابن مسكين مهيبًا، زاهداً، رقيق القلب، غزير الدمعة، مباينًا لأهل البدع[٩١].

٢/٣/١ رحلة ابن الحَجَّامِ إلى مصر ومراكز الثقافة الإسلامية المشرقية لطلب العلم

رحل ابن الحَجَّامِ عن بلده، لطلب الفقه والحديث، فسمع جلة من علماء المالكية بمصر، وجدة، ومكة، وبغيرها من الأمصار، نذكر منهم: إبراهيم بن حميد، ومحمد بن إبراهيم الدبيلي، والإمام الحافظ أبو سعيد أحمد بن زياد بن الأعرابي البصري فقيه مكة (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)[٩٢]، وكان من كبار المحدثين الثقات، أصحاب التصانيف[٩٣] ،

في مسجدها الجامع، فكان يجلس عليه ويسمع الناس. وتفقه عليه خلق كثير، وإليه كانت الرحلة في وقته، وقد صنف كتبًا كثيرة في الفقه والآثار، منها: أحكام السوق، واختصار المستخرجة المسمى بالمنتخبة، وغيرها. عن ترجمته، راجع: الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٣٤٤-١٣٦، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٥٦٨ ص١٨٤، الحميدي، جذوة المقتبس، رقم ٩٠٠ ص٣٧٧-٣٧٨، المالكي، رياض النفوس، ج١ ص٤٩٠-٥٠٤، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥٠٥-٥٠٩، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٣٣-٢٤٥.

[٨٦] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٦.

[٨٧] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٥.

[٨٨] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٦، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص ١٢٤، المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ج٥ ص١٨٥.

[٨٩] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥٠٦-٥٠٧.

[٩٠] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٤٢، ٥١٨.

[٩١] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص ٤٩٢.

[٩٢] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٤، ابن فرحون ، الديباج المذهب، ج١ ص١٢٣-١٢٤.

وسمع أيضًا من حسن بن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي مطر العامري قاضي مصر [٩٤]، وعبد الله بن حمويه، ومحمد بن الحسين الطويبي، والفقيه المالكي أبي القاسم يحيى بن علي بن محمد بن إبراهيم الحضرمي[٩٥].

١/٤ مؤلفات ابن الحَجَّامِ

أفادت المصادر أن ابن الحَجَّامِ الفقيه القروي كان كثير التصنيف في أنواع العلوم[٩٦]، وألف كتبًا كثيرة، منها: كتاب المواقيت ومعرفة النجوم والأزمان[٩٧]. وللأسف لم تحتفظ المصادر بأسماء مصنفاته غير ذلك الكتاب. ونستدل من رواية انفرد بها القاضي عياض أن ابن الحَجَّامِ قد اعتمد على مصنفِ للإمام مالك كان قد ألفه في " النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر "، وجعله أي ابن الحَجَّامِ أصلًا في تأليفه في هذا الباب، وصدّر بفصوله[٩٨].

١/٥ مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه وفضائله

---

[٩٣] جاور أبو سعيد بن الأعرابي بالحرم، ومات به سنة ٣٤١هـ، وكان قد صحب الجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، والثوري وغيرهم، روى عنه الطبراني والخطابي، وخلق، وكان كبير القدر بعيد الصيت. عن ترجمته، راجع: القشيرى، الرسالة القشيرية، تحقيق د. عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٢م، ج١ ص١٧٦، الذهبي، تذكرة الحفاظ، م٢، ج٣ ص٨٥٢-٨٥٣، وله أيضًا: المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٤م، رقم ١١٤٧ ص١١١، الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٦٢-١٩٦٧م، ج٣، رقم ٦٢٦ ص١٣٧-١٣٨، السيوطي، طبقات الحفاظ، تحقيق د. علي محمد عمر، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٩م، رقم ٨٠١ ص٣٥٢، ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، ج٣ ص ٣٥٤ .

[٩٤] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص ١٢٣-١٢٤.

[٩٥] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، ٢٢٢، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص ١٢٣-١٢٤، مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١، رقم ٢٠٩ ص١٢٧، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج٢، رقم ١١٦ ص٩٤، يوسف أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس، ص١٣٤.

[٩٦] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص ٥٠٦، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٨.

[٩٧] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٤-٤٥، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص ١٢٤، الزركلي، الأعلام، ج٤ ص ١٤٢، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج٢ رقم ١١٦ ص٩٥.

[٩٨] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص ١٠٩.

كان الفقيه أبو محمد عبد الله بن مسرور ابن الحَجَّامِ كما ذكر المالكي أحد الأئمة [٩٩]؛ وقال عنه الذهبي: " إِمَامٌ كَبِيْرٌ شَهِير " [١٠٠] . وقرظه الخشني المعاصر له، فذكر أنه ما علم له خطأ في فقه [١٠١]. ونعته أحد الباحثين المحدثين بالفقيه الحافظ الإمام الصالح العالم العامل[١٠٢]. وكانت فضائل ابن الحَجَّامِ كثيرة مشهورة [١٠٣]، فقد كان كما ذكر أبو عبد الله الخراط مهيبًا في نفسه، لا يكاد أحد ينطق في مجلسه، بغير الصواب [١٠٤]، وكان صارمًا في الحق[١٠٥]. ونستدل من الروايات على سعة علم ابن الحَجَّامِ وثقافته، فقد غلب عليه الجمع وحسن التقييد، وصحة الكتاب[١٠٦]، واقتنى كتبًا كثيرة من جميع العلوم، وكانت كتبه كلها سبعة قناطير بخط يده[١٠٧]، فحبّسها على المسلمين بعد وفاته، فكان ثلثها عند تلميذه أبي محمد بن عبد الله بن أبى زيد القيرواني، وثلثيها عنده، فكانت هذه أيضًا من فضائله المشهورة، وكانت منفعة الناس عظيمة من ثلث تلك الكتب الذى كان عند ابن أبى زيد[١٠٨]، وما زالت بعض أجزاء هذا الثلث موجودة في جامع القيروان، وعلى غالبها خط أبي زيد، وغيره[١٠٩].

(٢) تلاميذه القيروانيين والأندلسيين

---

[٩٩] المالكي، رياض النفوس، م٢ ص٤٢٢، قاسم علي سعد ، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ، ج٢ ص ٧٧٢.

[١٠٠] الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٦.

[١٠١] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٧.

[١٠٢] مخلوف، شجرة النور الذكية، ج١ ص١٢٧.

[١٠٣] المالكي، رياض النفوس، م٢ ص٤٢٢.

[١٠٤] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧.

[١٠٥] الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧.

[١٠٦] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٧، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤.

[١٠٧] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٧، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٦، وذكر الدباغ أنه كان يُصنع له مطر (مكيال للسوائل قدره ٣٠ لترًا)، من الحبر من كثرة كتبه (معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧).

[١٠٨] المالكى، رياض النفوس، ج٢ ص٤٢٣-٤٢٤، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٦، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص١٢٤، مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١ رقم ٢٠٩ ص١٢٧.

[١٠٩] نجم الدين الهنتاتي، الأحباس بإفريقية وعلماء المالكية إلى منتصف القرن ٦هـ/١٢م، الكراسات التونسية، عدد ١٧٤، ١٩٩٦م، ص٩٧-١٢١، خالد حسين محمود، الحبس على جامع القيروان حتى نهاية عصر بني زيري (٥٠-٥٤٣هـ/٦٧٠-١١٤٨م)، مجلة أوقاف، الكويت، مايو ٢٠١٧م، العدد ٣٢ ص١٠٥.

بعد أن اكتمل تحصيل ابن الحَجَّامِ بمراكز الثقافة الإسلامية التي رحل إليها، عاد إلى القيروان، فجلس للدرس، وإسماع ما روى من الكتب[١١٠]، فانتفع به كما ذكر المالكي عَالَمٌ كثير[١١١]، من أهل إفريقية، والأندلس، وطرابلس، والإسكندرية، ومصر[١١٢]. ومن المرجح أن طلاب العلم والعلماء المعاصرين لابن الحَجَّامِ من تلك البلاد قد أدركوا قيمته العلمية وعرفوا له أستاذيته، فتكاثروا عليه وتحلقوا حوله ينهلون من فيض علمه، فسمعوا منه وكتبوا عنه. ولا ريب أن حصر تلاميذ ابن الحَجَّامِ متعذر جدًا. وسنذكر فيما يلى بعض مشاهيرهم الذين تخرجوا على يديه:

١/٢ تلاميذه القيروانيين

انتفع بابن الحَجَّامِ خلق كثير من طلاب العلم المغاربة. وأمدتنا المصادر بأسماء بعضهم، ومن أبرزهم: الفقيه المحدث أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني شيخ المالكية الملقب مالكًا الصغير (٣١٠-٣٨٦هـ/٩٢٢-٩٩٦م)[١١٣]، وعلي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بأبي الحسن القابسي

---

[١١٠] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٧، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ج٢ ص٧٧٢.

[١١١] المالكي، رياض النفوس، م٢ ص٤٢٢.

[١١٢] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧-٥٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٦، ابن فرحون، الديباج، ج١ ص ١٢٤، ج١ ص٤٢٣-٤٢٤، المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية،ج٥ ص١٨٤، محمد محمد زيتون، القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، ص٤٣٠-٤٣١.

[١١٣] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٥، ١٤٢، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧، ١٠٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٥، ابن فرحون، الديباج، ج١ ص٤٢٣-٤٢٤، زيتون، القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، ص٤٣٠-٤٣١. كان إمامًا ثقة في روايته، تفقه بفقهاء بلده وسمع من جلة شيوخه، وعول علي أبي بكر بن اللباد وأبي الفضل الممسي. وكان له رحلة، فحج وسمع من أبي سعيد بن الأعرابي، وغيره. وكان إمام المالكية في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح أقواله، ذابًا عنه قائماً بالحجة عليه، وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية، وكتبه تشهد له بذلك، ومنها: النوادر والزيادات على المدونة، ومختصر المدونة، وعول عليهما أهل المغرب في التفقه، وكتاب الذب عن مذهب مالك، وغيرها (المالكي،رياض النفوس، ج٢ ص١٠١، ١٠٤، ١١٠، ٢٨٦- ٢٨٨، ٣٠٠، ٤٨٣، ٥٠١، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص١٤١-١٤٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص١٠٩-١٢١، الذهبي، العبر فى خبر منْ غبر، حققه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج٢ ص١٧٧، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص ١٢٨، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٥٩م، ج٦ ص٧٣.

(ت٤٠٣هـ/١٠١٣م)[١١٤]، ومحمد بن إدريس[١١٥]، وأبو عبد الله الصدفي[١١٦]. وتتلمذ على ابن الحَجَّامِ أيضًا: الفقيه المفتي أبو القاسم عبد الخالق بن أبي سعيد خلف بن شبلون (ت٣٩١هـ؟/١٠٠١م)، وسمع منه[١١٧]. ونستدل من الروايات أن الشاعر أبا القاسم محمد بن عامر بن إبراهيم الفزاري (نسبة إلى فزارة بن ذبيان)[١١٨]، كان من أبرز تلاميذ ابن الحَجَّامِ، وكان يحضر مجلس سماعه، ويحرص على الانتظام فيه[١١٩]، وتتلمذ على ابن الحَجَّامِ أيضًا علي بن محمد الربعي، وروى عنه[١٢٠]. وقد حدّث علي بن محمد الربعي، قال: حدثنا أبو محمد بن مسرور، قال: حدثنا عيسى بن مسكين، عن محمد بن عبد الله بن سَنْجَر، عن حجاج بن مِنهال، عن حماد، عن عاصم بن بهدلة،

---

[١١٤] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٥، ٢٢٤. كان واسع الرواية عالمًا بالحديث وعلله ورجاله، وفقيهًا أصوليًا متكلمًا ثقة صالحًا. وكان أعمى وهو مع ذلك من أصح الناس كتبًا وأجودهم ضبطاً وتقييدًا يضبط كتبه بين يديه ثقات أصحابه، سمع من رجال إفريقية، ورحل سنة ٣٥٢هـ، فحج وسمع من علماء أجلاء، وهو أول مَن أدخل رواية البخاري إفريقية، وله تآليف بديعة، منها: الملخص في الموطأ (عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٢٢٣-٢٢٧، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢ ص١٠١، مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، رقم ٢٦٨ ص١٤٥).

[١١٥] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٥.

[١١٦] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص ٥٠٦، ابن فرحون، الديباج، ج١ ص ١٢٤، ج١ ص٤٢٣-٤٢٤، المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ج٥ ص١٨٤، محمد محمد زيتون، القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، ص٤٣٠-٤٣١.

[١١٧] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص١٦٦، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢ ص٢٢. تفقه بابن أخي هشام كما ذكر الشيرازي. وكان الاعتماد عليه بالقيروان في الفتوى، والتدريس بعد أبي محمد بن أبي زيد. وألف كتاب المقصد، أربعين جزءًا (الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٦٠ – ١٦١، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص١٦٦، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج٣ ص ١٤٤، قاسم علي سعد، جمهرة تراجم المالكية، ج٢ ص ٥١٦-٥١٧).

[١١٨] ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م،ج٣ ص٤٢٩. ترجم له الزبيدي في ثنايا ترجمته لأبيه الشاعر اللغوي عامر بن إبراهيم الفزاري، فذكر أن أبا القاسم كان بصيرًا بالأداب (طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، رقم ١٩٠ ص٢٥٠). وصحب الزاهد أبا الفضل عباس بن عيسى بن العباس المُمسي، ورثاه عند موته (المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٣٠٢-٣٠٥).

[١١٩] المالكي، رياض النفوس، م٢ ص٤٢٣، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٨. وانظر أيضًا: محمد اليعلاوي، شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية، حوليات الجامعة التونسية، ١٩٧٣م، عدد ١٠ ص١١٩-١٤١.

[١٢٠] الداني، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، دراسة وتحقيق الدكتور رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ، ج١، رقم ٣٩٨.

عن الشعبي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " من اقتراب الساعة أن يُرى الهلال ابن ليلة كأنه ابن ليلتين "[١٢١].

وقد أجاز ابن الحَجَّامِ جميع تلاميذه رواية كتبه، ومسموعاته[١٢٢]. غير أنه عاد ونبذ جماعة من تلاميذه المغاربة، لأشياء اطلع عليهم فيها. فكتب عليهم محضرًا بذلك[١٢٣]. وكان القاضي عياض يرى أن مثل هذا النبذ لا يضر الرواية. وقد فعله بعض العلماء ببعض مَنْ سخطه من أصحابه. ولعله لم يخفِ عليهم أن الرجوع فيها لا يصح، لكنه كالردع والتجريح لهم[١٢٤].

٢/٢ الأندلسيون تلاميذ ابن الحَجَّامِ القيرواني

أكد كثير من الكُتاب المسلمين على ضرورة الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة، واعتبروها " مزيد كمال في التعليم " [١٢٥] ، لما يُسفر عنها من فوائد مهمة في تكوين شخصية المرتحل العلمية، وصقل مواهبه وإكسابه المهارات[١٢٦]؛ وقد شدد ابن خلدون على ضرورة الرحلة في طلب العلم، فقال: " فالرحلة لابد منها في طلب العلم؛ لاكتساب الفوائد والكمال، بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال" [١٢٧]. وقد اشتهر أهل الأندلس بشغفهم بالعلوم والآداب وبذلهم المال في تحصيلها ببلادهم، وشد الرّحال في طلبها خارجها[١٢٨]، واشتهروا في الآفاق أيضا بنشاطهم التجارى الواسع داخل بلادهم وخارجها؛ ولذلك نعتهم الرّحالة المقدسى بتقدير العلم وأهله، وكثرة التجارات والتغرّب[١٢٩]، وأشار الحميدي وابن سعيد الأندلسيان أيضا إلى ولعهم بالتنقل والتغرّب، والطواف بالبلاد في طلب

---

[١٢١] الداني، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، ج١، رقم ٣٩٨.

[١٢٢] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٥.

[١٢٣] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٥.

[١٢٤] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٥، ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٨، ابن فرحون، الديباج، ج١ ص٤٢٣-٤٢٤، محمد محمد زيتون، القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، ص٤٣٠-٤٣١.

[١٢٥] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، طبعة عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ٢٠٠٤م، ج٢ ص٣٥٨.

[١٢٦] المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٦٥-٦٦.

[١٢٧] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج٢ ص٣٥٨.

[١٢٨] الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، رقم ٣٢٨ ص٢٥٤، المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٦٥-٦٦، ٢٩٤، ٢٩٥، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥٠٧، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص١٠٩-١١٤.

[١٢٩] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٩٥.

العلم [١٣٠] . ولقد ارتبط أهل الأندلس بروابط دينية وعلمية وتجارية متينة مع إخوانهم ببلدان المغرب والمشرق، واستقطبت المراكز الثقافية والتجارية بتلك البلاد أعدادًا كبيرة منهم، فتقاطروا عليها، لأغراض دينية كأداء فريضة الحج ومجاورة الحرمين الشريفين، ولأغراض علمية، أو كما ذكر ابن حيان القرطبي " لقضاء الفرض، واقتباس العلم" [١٣١]، ولأغراض تجارية[١٣٢]، وغيرها.

وقد جذبت شهرة ابن الحَجَّامِ ومكانته العلمية كثير من طلاب العلم الأندلسيين، فحرصوا على السماع منه أثناء توجههم إلى مراكز الثقافة الإسلامية المشرقية، لطلب العلم، ونذكر منهم: أبو القاسم مسلمة بن القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن حاتم القرطبي، وسمع منه في القيروان وهو في طريقه إلى المشرق سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م[١٣٣]. ومنهم

---

[١٣٠] الحُميدى، جذوة المقتبس، ص٩٤، ابن سعيد، المغُرب، ج٢ ص٧٢، ابن عذاري، البيان المُغرب، ج٢ ص١٠٩،١٤٣،١٩١،٢٠٥،

Makki, Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana, pp. 9-11.

[١٣١] ابن حيان، السفر الثانى من كتاب المقتبس، حققه وقدّم له وعلق عليه د. محمود على مكى، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٣م، ص٢٠٤،٢٠١، ٣٧٣. وانظر أيضا: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، أرقام: ٤٣٩،٧٧٩،١٢٨٩، الحميدي، جذوة المقتبس، أرقام: ١٠٠، ١٤٦،١٢٩، ١٥٢، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٩٤، Makki, Ibid, pp.5-11.

[١٣٢] الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، رقم ٣١٠ ص٢٢٩، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، أرقام: ١٣٤، ٧٥٧، ٧٦٤، ١٠٦٦، ١٤٢٦، ابن حيان، المقتبس، نشره بدرو شالميتا وكريخلي ومحمود صبح، مدريد، ١٩٧٩م، ص٣٥، ابن عبد البر، القصد والأمم، تحقيق إبراهيم الأبيارى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٨٥م، ص٥٩، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص١١١، ولمزيد من التفاصيل، راجع: خالد عبد الكريم حمود البكر، الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية، الطبعة الأولى، الرياض، ٢٠٠٢م. Makki, Ibid, pp.11-17.

[١٣٣] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٤٢٣ ص١٢٨. سمع بالأندلس من محمد بن لبابة، وأحمد بن خالد، ومحمد بن قاسم، ومحمد بن عبد الله بن قاسم، وقاسم بن أصبغ. وكانت له رحلة إلى المشرق لقي فيها الأكابر، فسمع بالقيروان، ومن جماعة كثيرة من المصريين، والمكيين، والعراقيين، والسيرافيين، والشاميين، واليمانيين (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٤٢٣ ص١٢٨-١٣٠). وله تصانيف في الفن (التاريخ الكبير) جمع تاريخا في الرجال شرط فيه ألا يذكر إلا من أغفله البخاري في تاريخه، وهو كثير الفوائد في مجلد واحد (ابن حجر، لسان الميزان،ج٦ ص٣٥.

أيضًا: أبو عبد الله عبيد بن محمد بن أحمد القيسي القرطبي ويعرف بابن حميد [١٣٤]، وسمع منه كما نستدل من الروايات في رحلته العلمية الأولى سنة ٣٤٢ه/٩٥٣م[١٣٥]، ومنهم أيضًا: أبو جعفر أحمد بن عَوْن الله بن حُدير البزاز القرطبي (توفي في ربيع الآخر ٣٧٨ه/٩٨٩م)[١٣٦]، ومنهم: محمَّد بن عبد الملك بن ضَيْفون بن مروان اللخمي الرصافي القرطبي الحداد (٣٠٢-٣٩٤ه/٩١٨- ١٠٠٤م) [١٣٧].

(٣) منهج ابن الحَجَّامِ في رواية الحديث ووجوه استفادة تلاميذه منه

وكان ابن الحَجَّامِ متفرغًا طوال حياته للعلم؛ طلبًا، ورواية، وتدوينًا، وقد شغف بذلك شغفًا شديدًا ملك عليه دنياه، وشغله عن ملذات الحياة، حتى أنه عزف عن التسري بالنساء، وأقام على حاله من التفرغ للعلم، إلى أن مات[١٣٨]. وأمدتنا المصادر بإشارات مهمة عن منهج ابن الحَجَّامِ في رواية الفقه والحديث، فقد قام بتدريس بعض

---

[١٣٤] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، رقم ١٠٠٤ ص٣٤٢، ابن عبد البر، التمهيد، ج٢ ص٤٨-٤٩، الحميدي، جذوة المقتبس، رقم ٦٧١ ص ٢٩٦، الضبي، بغية الملتمس، رقم ١١٣٤ ص٤٠٠. ولد في سنة عشر وثلاثمائة، وسكن بالمبلطة من قرطبة، وسمع في الأندلس من قاسم بن أصبغ، ومحمد بن معاوية القرشي، وغيرهم، ورحل يطلب العلم، فسمع من جلة شيوخ القيروان، والإسكندرية، والفسطاط، وبيت المقدس، وعسقلان، وبالرملة، ورحل إلى المشرق رحلة ثانية بعد ما أسن، فحج سنة ٣٩١ه، وتوفي بالسويداء قرب المدينة المنورة في المحرم سنة ٣٩٢ه (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، رقم ١٠٠٤ ص٣٤١-٣٤٢، الحميدى، جذوة المقتبس، رقم ٦٧١ ص٢٩٦، الضبى، بغية الملتمس، رقم ١١٣٤ ص٤٠٠).

[١٣٥] ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم ١٠٠٤ ص ٣٤١ .

[١٣٦] ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص١٨٣. سمع من قاسم بن أصبغ ومحمد بن دليم، وغيرهما من أهل قرطبة، ورحل فسمع بمكة: من أبى سعيد بن الأعرابى وجماعة، وسمع بطرابلس الشام، ودمشق، ومصر، وجماعة يكثر تعدادهم، وروى عنه أبو عمر الطلمنكى، والأمام ابن دُنَيْن عبد الله بن عبد الرحمن الصدفي الطليطلي، وخلق (ابن الفرضي، تاريخ علما الأندلس، ق١، رقم ١٨٣ ص٥٤، الضبى، بغية الملتمس، رقم ٤٥٢ ص١٩٨، ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير، ص٣٥٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦ ص٣٩٠، وله أيضًا: العبر، ج٢ ص٢٥١).

[١٣٧] ترجم له ابن الفرضي وأشار إلى شيوخه بالقيروان، ولم يكن منهم عبد الله بن مسرور (تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٣٩٣ ص١٠٩)، غير أنه عاد وذكر في موضع أخر من كتابه أن محمد بن عبد الملك بن ضيفون التقى ابن مسرور بالقيروان وسمع منه (المصدر السابق، ق٢، رقم ١٦١٣ ص٢٠٠)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص٥٦، ج١٨ ص١٥٤، ابن ناصر الدمشقي، توضيح المشتبه، ج٥ ص١٨٣. وأشار المقري إلى رحيل ابن ضيفون إلى القيروان، وسماعه من جماعة لم يذكرهم (نفح الطيب، م٢ ص٢٣٧).

[١٣٨] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧.

الكتب والأجزاء الحديثية لطلاب العلم القيروانيين والقادمين إليها والمقيمين بها، وكان كغيره من كبار المحدثين يجلس لطلابه في حلقته، وفي بيته يُملى عليهم من حفظه، أو يستملى بعض تلاميذه النجباء، خاصة عندما تقدم به العمر، فقد ذكر الخشني " وهو اليوم يُقرئ عليه كتبه " [١٣٩]. وكان يأمر طلاب العلم في مجلسه بأن ينزلوا كتبه من أماكنها بالمجلس وأن يقرأوا بين يديه[١٤٠]. ونستدل من إحدى الروايات أنه كان يؤخر بداية مجلس درسه حتى يحضر جميع تلاميذه، فقد ذكر المالكي أنه انتظر يومًا رجلًا في حضور السماع، فطال الانتظار، فالتمس منه أبو القاسم الفزاري الشاعر، وكان يحضر مجلس السماع، أن يبدأ الدرس دون انتظار طالب العلم المتأخر عن مجلس السماع، وأنشده:

مثل جرى في الناس ليس بقاض جوع الجماعة في انتظار الواحد

فأمر ابن الحجام تلاميذه الحاضرين أن يجهزوا أوراقهم، وأن يبدأوا القراءة [١٤١]. وبطبيعة الحال كان عدد المجالس التي استغرقتها رواية ابن الحَجَّامِ لبعض الكتب والأجزاء الحديثية يتوقف على حجم هذه الكتب، وطبيعة المجالس؛ فالكتب الكبيرة كانت تستغرق وقتًا طويلًا لروايتها، عكس الكتب الصغيرة والأجزاء، وكان عدد المجالس العامة يختلف بلا شك عن عدد المجالس الخاصة، وكان عدد المجالس العامة ومدتها يتوقف أيضًا على عدد التلاميذ الحاضرين ومقدرتهم على الفهم وسرعة الاستيعاب، ومدى إلتزامهم بمواعيدها كما رأينا.

(٤) موقف ابن الحَجَّامِ المعارض للمد الشيعي في إفريقية وتأثر تلاميذه القيروانيين به

كان أهل السنة بالقيروان في حالة شديدة من الاهتضام والتستر أيام الدولة الفاطمية " تجري عليهم في كثرة الأيام محن شديدة " [١٤٢]. وكان ابن الحَجَّامِ القيرواني من علماء المالكية الذين تصدوا للمد الشيعي وقاوموه عقب قيام الدولة الفاطمية بإفريقية سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، ومن مظاهر ذلك، أنه نظر إلى الشيعة باعتبارهم من أهل الأهواء والبدع، فجانبهم وقاطع رموز مذهبهم؛ وكان صارمًا في ذلك، فكان لا يرد السلام عليهم [١٤٣]، فامتحنه محمد بن

[١٣٩] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٧.

[١٤٠] المالكي، رياض النفوس، م٢ ص٤٢٤،

[١٤١] المالكي، رياض النفوس، م٢ ص٤٢٤، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٨..

[١٤٢] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٢٩.

[١٤٣] الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧.

عمر المروذي القيرواني قاضي الشيعة بإفريقية[١٤٤]، ونكبه مدة ثلاث سنوات وأراد قتله، فنجاه الله منه [١٤٥]. وجدير بالذكر أن أبا عبد الله الشيعي كان قد عهد إلى محمد بن عمر المروذي بقضاء إفريقية، فتصلب وتكبر وتجبر، فأخذ العلماء والصالحين من أهل السنة المعارضين للدولة الفاطمية؛ فمنع بعضهم من الفتوى، وضرب بعضهم وهوّن بهم وتولى تعذيبهم، وقتل نفر منهم[١٤٦]، فيما يعرف بعصر شهداء المالكية[١٤٧]، وكانت نكبة القاضي محمد بن عمر المروذي لابن الحَجَّامِ قبل سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، فقد نكب الخليفة عبيد المهدي المروذي آنذاك، فظل يعذب في سجنه حتى وفاته[١٤٨] سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م[١٤٩].

---

[١٤٤] أصله من مرو الروذ (مرو الصغرى)، ببلاد فارس، فنسب إليها. وكان معتقدًا لمذهب الشيعة معروفًا بذلك، فلما دخل الداعي أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الكوفي الشيعي إفريقية سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م (ابن الأبار، الحلة السيراء، حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١ ص١٧٦، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥)، بادر إليه محمد بن عمر المروذي ودخل في دعوته ولزمه، فولاه قضاء إفريقية، وكانت أيامه صعبة جدًا على أهل السنة المعارضين للدولة الفاطمية؛ غير أنه لقى مصيرًا تعسًا عندما سعى به بعض العلماء القيروانيين عند الخليفة عبيد الله المهدي بالمهدية، واتهموه بالإرتشاء واقتناء الأموال وأكثروا من ذلك، فقبل المهدي أقوالهم فيه، وعزله، وعذبه، ومكنهم من قتله سنة (الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٥، ٢١٥-٢١٦، ٢٣٩، المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٥٥-٥٦، ٦٠، ١٥٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٨٩-٢٩٢، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١ ص١٥١، ١٧٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦ ص٤٢٣، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري إلى قيام المرابطين)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ج٣ ص١٣٣، ١٤١-١٤٤، إبراهيم علي التهامي، أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الإنحرافات العقدية، ج٢ ص٤٥٢، خالد حسين محمود، ظاهرة العنف في سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم خلال المرحلة المغربية (٢٩٦-٣٦٢هـ/٩٠٩-٩٧٣م)، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، ٢٠١٥م، ص٧٩.

[١٤٥] الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧.

[١٤٦] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٧٥، ٢١٥-٢١٦، ٢٣٩، المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٤١-٤٢، ٤٨، ٥٥-٥٦، ٦٠، ١٥٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٦٢، ٢٩١-٢٩٢، محمود إسماعيل، المالكية والشيعة بإفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، مج ٢٣، ص٧٤، وله أيضًا: محنة المالكية في إفريقية المغربية، ضمن مغربيات، فاس، ١٩٧٧م، ص٥٧-٨٣.

[١٤٧] الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٦٩، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج٣ ص١٣٢، ١٣٤، بلهواري، الفاطميون وحركات المعارضة، ص٢٦٨-٢٦٩.

[١٤٨] المالكي ، رياض النفوس، ج٢ ص٥٦، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٩٠-٢٩٢، فاطمة بلهواري، الفاطميون وحركات المعارضة، ص١٦٠-١٦١.

وقد استمر ابن الحَجَّامِ على موقفه السلبي من الفاطميين الشيعة، فظل مقاطعًا لهم، وتشدد في التنقيص لرجال دولتهم والتنفير عنهم، ولم يعبأ بما يتعرض له من نكبتهم؛ وقد أمدنا القاضي عياض برواية فريدة عن مظهر آخر من مظاهر مقاومة ابن الحَجَّامِ للمد الشيعي وتعرضه للأذي بسبب ذلك، ولكنه نسب تلك النكبة إلى القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد التميمي القيرواني المعروف بابن حيون قاضي قضاة الفاطميين وداعيتهم (ت٣٦٣ه/٩٧٣م) [١٥٠]، فذكر أن القاضي النعمان مر بابن الحَجَّامِ وكان جالسًا أمام باب داره، فسلم عليه، فدعى عليه ابن الحَجَّامِ وعلى الشيعة، فقال: " حسبنا الله ونعم الوكيل "، فلما كرر القاضي السلام عليه، فرد بمثل رده الأول، فلما انصرف القاضي النعمان، أوغر رجاله صدره ضد ابن الحَجَّامِ، ورأوا في تصرفه إهانة للقاضي وإذلال له وللشيعة، فرجع القاضي إلى ابن الحَجَّامِ يتوقد غضبًا، فلما رآه ابن الحَجَّامِ قام وجعل يده على أذنه، وسب القاضي، وقال له: " جعلت أذنك قمعًا لمن يقرب إلى النار لحمك ودمك "، فانصرف عنه، وقد عقد العزم على نكبته[١٥١]، ولعله نكبه باغتصاب إحدى دوره[١٥٢]، ونستدل من سيرة القاضي النعمان عن سبب تهكم ابن الحَجَّامِ عليه، فقد كان النعمان مالكيًا، ثم تحول إماميًا إسماعيليًا، وانخرط في خدمة الفاطميين الإسماعيلية، وصنف لهم التصانيف على مذهبهم[١٥٣]. وقد تعرض بعض تراث ابن الحَجَّامِ (مقدارها ثلثي كتبه)، للطمس بعد وفاته، فقد أمر

---

[١٤٩] ابن عذاري، البيان المغرب، ج١ ص١٧٣. حدد سعد زغلول عبد الحميد (المرجع السابق، ج٣ ص١٤٣)، وفاة المروذي بسنة ٣٠٢ه/٩١٤م

[١٥٠] أحد الأئمة الفضلاء، وكان من أهل العلم والفقه والدين. وقد تخصص في أصول الفقه الشيعي وفروعه، والتأريخ السياسي والديني للدولة الفاطمية، وسير أئمتهم. وقد وصلت إلينا بعض مؤلفاته، منها: دعائم الإسلام، وافتتاح الدعوة، والمجالس والمسايرات، والهمة في آداب اتباع الأئمة. (القاضي النعمان، الهمة في آداب اتباع الأئمة، تحقيق محمد كامل حسين، القاهرة، بدون تاريخ، مقدمة المحقق ص٣-١٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٥ ص٤١٦. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤ ص٣٣٨. وعن مؤلفاته، انظر: سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج٣ ص١٢-٢٥.

[١٥١] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٥.

[١٥٢] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٥.

[١٥٣] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥ ص٤١٦. يتفق الإمامية الإسماعيلية مع الإمامية الإثنا عشرية إلى الإمام جعفر الصادق (ت١٤٨ه/ ٧٦٥م)، ويخالفونهم في ولده موسى الكاظم، فيسوقون الخلافة إلى ابنه الآخر إسماعيل (وقد مات في حياة أبيه)، ثم إلى أبنائه حتى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب. فهم يسمون (بالإسماعيلية)، ويعرفون أيضًا (بالسبعية)، لأن إسماعيل هم الإمام السابع (البغدادي، الفَرْقُ بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢٤٧-٢٥٢، ابن خلدون، العبر، ج٣ ص ٤٥٠)

السُّلْطَان العُبَيْدِي (الخليفة الفاطمي)[١٥٤]، بمصادرتها، بحجة أنه لم يكن له عاصب، ووضعها فى القصر ومنع الناس منها " كيدًا للإسلام وبغضًا فيه "[١٥٥]، ويعتبر هذا الموقف مظهرًا من مظاهر الصراع المذهبي بين الشيعة والمالكية والمالكية في إفريقية؛ فقد كرس الفاطميون جهودهم لإماتة السنة بمختلف الوسائل، فكان مصادرة كتب علماء المالكية [١٥٦]، ومنع الناس الاستفادة منها أحد أهم مظاهر ذلك الصراع.

وقد تأثر تلاميذ ابن الحَجَّامِ القيروانيين فيما يبدو بموقفه تجاه المد الشيعي بإفريقية؛ فناصبوا الدولة الفاطمية العداء، وتعددت مظاهر مقاومتهم للتشيع في بلادهم؛ فقد انضم الشاعر الأديب أبو القاسم محمد بن عامر بن إبراهيم الفزاري إلى أبي يزيد مخلد بن كيداد اليَفْرَني الخارجي الإباضي النكاري المعروف بصاحب الحمار الثائر على الفاطميين، ونظم قصيدة رائية طويلة وأنشدها بين يديه عند استيلائه على القيروان بمحضر أنصاره من علمائها، يستعطفه بها، ويصف الفاطميين العُبيديين وتشيعهم[١٥٧]، ونظم أبو القاسم الفزاري أيضًا أشعارًا كثيرة في هجاء الفاطميين وذمهم[١٥٨]. وناصر الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني[١٥٩]، وكثير من علماء المالكية،

---

[١٥٤] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٦. وأطلق المالكي لقب "سلطان الوقت"، ولم يذكر اسمه (رياض النفوس، ج٢ ص٤٢٣-٤٢٤، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٤). فلعله يقصد الخليفة معدّ الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي، وكان قد تقلد الخلافة في السابع من ذي الحجة سنة ٣٤١هـ/٢٤ إبريل ٩٥٣م (ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، رقم ٣١٦ ص٣٩١-٣٩٣، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، طبعة خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج٤ ص٥٨).

[١٥٥] المالكى، رياض النفوس، ج٢ ص٤٢٣-٤٢٤، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ رقم ٢٨٦ ص٥٠٦، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص١٢٤، مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١ رقم ٢٠٩ ص١٢٧.

[١٥٦] ذكر المالكي أن رجال الخليفة المهدي صادروا كتب الفقيه سعدون بن أحمد الخولاني الزاهد المتعبد بالمنستير (ت٣٢٦هـ/٩٣٨م)، وكان المهدي قد اتهمه بمحاولة الخروج عليه مع العامة، فقبض عليه، وصادر كتبه ثم أخلى سبيلة بشفاعة زوجته (رياض النفوس، ج٢ ص٢٥٨-٢٥٩).

[١٥٧] احتفظ المالكي بهذه القصيدة كاملة (رياض النفوس، ج٢ ص٤٨٩-٤٩٤)، وذكر الدباغ عدة أبيات منها (معالم الإيمان، ج١ ص٢٢-٢٣). وانظر أيضًا: محمد اليعلاوي، شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية، ص١٢٢-١٢٤، حسن حسني عبد الوهاب، مجمل تاريخ الأدب التونسي من فجر الفتح العربي لإفريقية إلى العصر الحاضر، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٨م، ص٨٦-٨٧.

[١٥٨] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص٢٥٠، وقد احتفظ المالكي ببعض أبيات من إحدى تلك القصائد (رياض النفوس، ج٢ ص ٤٩٤ – ٤٩٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج١ ص٢٣، ج٣ ص٦٩، ٧٠، محمد اليعلاوي، شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية، ص١٢٦-١٢٧، عمر فروخ، عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت،

أبا يزيد مخلد بن كيداد في ثورته، فلما فشلت الثورة وهزم الثائر في موقعة تعرف بيوم الجمعة في السابع من المحرم سنة ٣٣٥ه/946م، ومات متأثرًا بجراحه سنة ٣٣٦ه/٩٤٩م[١٦٠]، طلب الفاطميون أنصاره، ومنهم: الشاعر الفزاري، ليقتلوه، فلجأ إلى الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي (ت٣٥٦ه/٩٦٧م)، يطلب مشورته ويتبرك بدعائه، وكان أهل القيروان ينظرون إليه، إذا نزلت الحوادث والمعضلات " لمكانه من العقل والعلم، والمعرفة بصحة الوقت، وكيف تلقى الحوادث "[١٦١]، فنصحه بتسليم نفسه، فلما حضر بين يدي الخليفة إسماعيل المنصور الذي خلف والده القائم في سنة ٣٣٤ه/٩٤٧م، أمره بأن ينشده القصيدة التي مدح بها الثائر أبي يزيد الخارجي وهجا فيها الفاطميين، فالتمس الفزاري الأمان لكي ينشدها، فأعطاه الخليفة الأمان، فأنشده القصيدة كلها، فلما فرغ منها حرّضه بعض أشياخه على قتله، فأعرض عنه، وقال له: " قد أمنّاه "، وأذن له بالإنصراف، ولم يعرض

٢٠٠٤م، ج٤ ص٢٤٧-٢٤٨. إبراهيم علي الشهامي، أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الإنحرافات العقدية، ج٢ ص٥٠٠-٥٠٢.

[١٥٩] المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٣٠٠-٣٠٢، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٢٦-٢٧، ٣٨.

[١٦٠] ثار أبو يزيد الخارجي على الفاطميين في أخر خلافة القائم سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، لأسباب سياسية، واجتماعية، وعنصرية، فثورته بربرية بترية في مواجهة بربر كتامة وصنهاجة أعوان الفاطميين، فعجز القائم عن مقاومته، فتغلب على البلاد في جموع البربر الملتفة عليه إلى أن حصر القائم في المهدية. وعن هذه الثورة، راجع: المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٢٩٢-٢٩٩، ٣٠٩-٣١٠، ٤٢٣، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٢٩-٣٢، ٧٤، ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق فوندر هايدن، باريس- الجزائر، ١٩٢٧م، ص١٩- ٢٦، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١ ص٢٨٩- ٢٩١، ج٢ ص٣٨٧-٣٨٩، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٢٩، ٣٠، ٣٥، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١ ص٢١٦-٢٢٠ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤ ص٥٢-٥٧، الداعي إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق وتقديم د مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٦م، ج٥ ص٨٠ ، ٨٥، ١٠٤، ١٠٧، ١٤٤-١٩٤، ٢١٦، محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص٢٣٦-٢٤٩، عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبى بإفريقية، ص٢٠٣، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج٣ ص١٧٠-١٩٩، فاطمة بلهواري، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، ص ٢٨٧-٢٩٤، ٣٤٤-٣٨٥،

Letourneau (R.), La Revolte d, Abou Yazid au Xme siècle, Les Cahiers de Tunisie, V.1, 1953.

[١٦١] كان من أولياء الله الصالحين، وكان الناس ينتفعون بدعائه. صحب أحمد بن نصر، وجلة من أهل العلم، وأخذ عنهم علمًا كثيرًا، وكان يروي العلم ويعرفه ويتذاكر العلماء بحضرته وفي مجلسه (المالكي، رياض النفوس، م٢ ص٤٦٩-٥٠٦، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٦٦-٦٧، ٦٨-٧٥، ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٦٣-٧٣).

بمكروه، فعافاه الله من شره كما ذكر المالكي بدعاء الشيخ السبائي[١٦٢]. وذكر المالكي أن الخليفة إسماعيل المنصور وصل أبا القاسم الفزاري وأكرمه بعد العفو عنه[١٦٣]. ونستدل من الروايات عن سبب صلة الخليفة المنصور للشاعر الفزاري وإكرامه له؛ فقد مدح الفاطميين بقصيدة عصماء رفع من شأنهم وجعلهم فوق جميع المشاهير من أهل الجاهلية والإسلام، وأشاد بالخيفة المنصور[١٦٤]. ونستدل من الروايات على نجاة ابن أبي زيد القيرواني أيضًا من عقاب الفاطميين، لمساندته الثائر أبي يزيد الخارجي، واشتراكه معه في حربهم؛ فقد ظل على قيد الحياة حتى وفاته سنة ٣٨٦ه/٩٩٦م؛ إذ نبهت ثورة أبي يزيد الخليفة المنصور خطورة التمسك بسياسة التعصب المذهبي، فسلك سياسة التودد والتقرب لأهل السنة عامة، والمالكية خاصة، خوفًا من تجدد ثورتهم ضده[١٦٥]، فكتب إلى أهل القيروان، فمَنْ عليهم كما ذكر ابن حوقل بالعفو والغفران[١٦٦]، وأمنهم على أرواحهم وأموالهم ووعدهم خيرًا [١٦٧].

(٥) ميل ابن الحَجَّامِ نحو الزهد واقتداء تلاميذه القيروانيين والأندلسيين به

نستدل من الإشارات المصدرية على ميل ابن الحَجَّامِ نحو الزهد، فقد كان صالحًا فاضلًا، ورعًا مسمتًا خاشعًا، رقيق القلب، غزير الدمعة [١٦٨]، منشغلًا عن ملذات الحياة ومباهجها الحسية حتى وفاته[١٦٩]. وكان ابن الحَجَّامِ قد لزم كثير من زهاد عصره بإفريقية وتتلمذ عليهم، فعادت عليه بركتهم؛ فكان يحيى بن عمر ورعًا، زاهدًا، كثير

---

[١٦٢] المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٣٠٢، ٤٧٥، ٤٨٩ – ٤٩٤، ٤٩٨، الدباغ، معالم الإيمان، ج١ ص٢٣، ج٣ ص٦٩، ٧٠.

[١٦٣] المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٤٩٤.

[١٦٤] الفزاري، القصيدة الفزارية في مدح الخليفة الفاطمي المنصور ، دراسة وتحقيق مصطفى الزمرلي، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، ومحمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م، ص١–٢٦٦، حسن حسني عبد الوهاب، مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص٨٤، عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج٤ ص٢٤٧–٢٤٨.

[١٦٥] محمود إسماعيل، الخوارج، ص٤٥٢–٤٥٣، المجذوب، الصراع المذهبي في بلاد إفريقية، ص٢٠١.

[١٦٦] ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م، ص٧٤، الداعي إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار، ج٥ ص٣٠٨.

[١٦٧] ابن الأثير، الكامل، ج٨ ص١٧١، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢ ص٣٨٩، بلهواري، حركات المعارضة، ص٢٩٤.

[١٦٨] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٨.

[١٦٩] فقد اشترى له أهله جارية لتؤنس وحدته، فزينوها وأدخلوها عليه. فلما كان الليل أخذ الكتاب، وكتب الليل كله، ولم يلتفت إليها، وأقام على ذلك نحوًا من شهر. فلما طال على الجارية ذلك الوضع، تبرمت وسألته تسريحها، فوافق وجعل أمرها إلى أهله الذين اشتروها (عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٧).

الدعاء والبكاء، ومجاب الدعوة[١٧٠]، وكان عيسى بن مسكين رجلًا صالحًا مستجاب الدعوة، طويل الصمت، رقيق القلب، وكان من أهل الفضل البارع، وكان زاهدًا ورعًا [١٧١]، وكان أبو عياش أحمد بن موسى بن مخلد شيخاً صالحًا، زاهدًا متعبدًا ورعًا [١٧٢]، وكان أبو جعفر حمديس القطان فاضلًا ورعًا [١٧٣]، وكان أبو جعفر أحمد بن أبي سليمان داود الصوافي زاهدًا، وكان غزير الدمعة، قرئ عليه كتاب الزهد لسحنون، فما زال يبكي حتى فرغ من قراءته [١٧٤]، وكان أبو سهل فرات بن محمد العبدي عابدًا [١٧٥]، وكان الزاهد أبو عثمان سعيد بن إسحاق زاهدًا منقطعًا للعبادة بقصر الطُوب[١٧٦]، وكان محمد بن مسكين صالحًا[١٧٧]، كما تأثر ابن الحَجَّامِ بزهد شيوخه المكيين والمصريين وورعهم، فكان ابن الأعرابي زاهدًا صوفيًا عارفًا عابدًا ربانيًا، وكان ذا رؤية للتصوف والزهد، وصنف في أهلهما كتاب طبقات النساك[١٧٨].

ونستدل من الروايات على أثر ابن الحَجَّامِ الايجابي في نزوع بعض تلاميذه القيروانيين والأندلسيين إلى الزهد والتصوف؛ فكان تلميذه أبو محمد عبد الله بن أبي زيد من أهل الصلاح والورع والفضل والعفة [١٧٩]، وكان أبو

---

[١٧٠] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥٠٦-٥٠٧.

[١٧١] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٤٢-١٤٣، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٢٩٢-٢٩٣، ٥٠١، النباهي، تأريخ قضاة الأندلس، ص٣٠-٣١، ١٦٨، ٢٢٠.

[١٧٢] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٥٢٥-٥٢٦، ابن عذاري، البيان المغرب، ج١ ص١٤٤-١٤٥، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص١٤٨-١٤٩.

[١٧٣] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص٣٤، ٥٣، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١١٣، ١٤٥، ١٤٧، المالكي، رياض النفوس، ج١ ص٤٨٨، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥١-٥٢٠، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٠١-٢٠٥.

[١٧٤] الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٣٩-١٤٠، المالكي، رياض النفوس، ج١، رقم ١٦١ ص٥٠٥-٥١٣، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥١٠-٥١٢، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٠٧-٢١٤.

[١٧٥] الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٠١.

[١٧٦] المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص١٢-١٥، الدباغ، معالم الإيمان، ج٢ ص٢٥٥.

[١٧٧] المالكى، رياض النفوس، ج٢ ص٤٢٢-٤٢٤، عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٥٠١-٥٠٢.

[١٧٨] القشيرى، الرسالة القشـــيرية، ج١ ص١٧٦، ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير، ص٣٥٤، الذهبي، تذكرة الحفاظ، م٢، ج٣ ص٨٥٢.

[١٧٩] المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص١٠١، ١٠٤، ١١٠، ٢٨٦- ٢٨٨، ٣٠٠، ٤٨٣، ٥٠١، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص١٤٢-١٤٣، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص١٠٩-١٢١، الذهبي، العبر، ج٢ ص١٧٧، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١ ص١٢٨.

الحسن القابسي من الصالحين الورعين المتقين الزاهدين الخائفين، وصنف كتبًا تدل على ميوله الصوفية، منها: رسالة في الورع، وكتاب حسن الظن بالله [١٨٠]، وأمدنا القاضي عياض برواية مهمة عن تأثر أبي الحسن القابسي بشيوخه، ومنهم: ابن الحَجَّامِ، وميلهم للزهد، فذكر أن القابسي" سلك في كثير من أموره مسلك شيوخه من صلحاء فقهاء القيروانيين المتقللين من الدنيا، البكائين، المعروفين بإجابة الدعوة وظهور البراهين "[١٨١]. وتأثر الشيخ الصالح الصدوق أحمد بن عون الله بن حدير تأثرًا عميقًا بابن الحَجَّامِ، فكان مثله صارمًا في السنة متشددًا على أهل البدع " وكان لهجًا بهذا النوع، صبورًا على الأذى فيه " [١٨٢]، وكان كان عبيد بن محمد القيسي شيخًا فاضلًا صالحًا كثير الصلاة، والتلاوة للقرآن والجهاد، ويضرب به المثل فى الزهد[١٨٣] ، وكان محمد بن عبد الملك بن ضيفون رجلًا صالحًا عادلًا [١٨٤]. ومن دلائل تأثير ابن الحَجَّامِ في نزوع تلاميذه للزهد أنه كان يوجههم نحو الاقتداء بالزهاد الصالحين المشهود لهم بالصلاح والطريقة القويمة في الزهد، ودراسة كتبهم في الزهد، وكان ينصحهم بتجاوز سيرة بعض الزهاد ومصنفاتهم في الزهد، فقد أوصى تلميذه الزاهد محمد بن عبد الملك بن ضَيْفون الأندلسي بعدم النظر في كتاب يُمن بن رزق، الزاهد التطيلي الأندلسي[١٨٥]، لأنه كان صاحب وساوس [١٨٦].

---

[١٨٠] عياض، ترتيب المدارك، م٢ص٢٢٤-٢٢٥، ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢ ص١٠١.

[١٨١] ترتيب المدارك، م٢ ص٢٢٥-٢٢٦.

[١٨٢] ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس، ق١، رقم ١٨٣ ص٥٤.

[١٨٣] ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، رقم ١٠٠٤ ص٣٤٢، الحميدي، جذوة المقتبس، رقم ٦٧١ ص ٢٩٦، الضبي، بغية الملتمس، رقم ١١٣٤ ص٤٠٠.

[١٨٤] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٣٩٣ ص١٠٨-١٠٩، الحميدي، جذوة المقتبس، رقم ٩٩ ص٦٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص٥٦، ج١٨ ص١٥٤، العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣ ص٢٧٩.

[١٨٥] من رجال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري. وكان أصله من الثغر الأعلى الأندلسي من قرية تجاور تطيلة Tudela. وهى تقع في جوفي وشقة على نهر ابره، وبين الجوف والشرق من سرقسطة التي تبعد عنها حوالي ٨٢كم، فتحها المسلمون ٩٤هـ/ ٧١٣م، واسترجعها الأسبان ٥٠٦هـ/١١٥م، وعرف عن أهلها بأنهم لا يغلقون أبواب مدينتهم ليلاً ولا نهارًا (ابن غالب، فرحة الانفس، نشر د. لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٥٥م، م١، ج٢ ص٢٨٧، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٦٤).

Levi- provencal: La description de L, Espagne de Ahmed al- Razi, Revista al - Andalus, Vol. XV11, Madrid, 1953, pp.76-78.

[١٨٦] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٦١٣ ص٢٠٠.

ومن المرجح أن بعض طلاب العلم القيروانيين والأندلسيين تأثروا بشيخهم ابن الحَجَّامِ في موقفه من أهل البدع؛ فتشددوا معهم في إفريقية والأندلس؛ فقد صنف أبو القاسم مسلمة بن القاسم القرطبي كتابًا في الرد أهل البدع، وعنوانه: الرد على أهل البدع وتبيين أصول السنة وحفظ ما لابد للعمل منه بشاهد الحديث والقرآن[١٨٧]، وكان أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني بصيرًا بالرد على أهل الأهواء، وصنف في ذلك مصنفات مفيدة، غزيرة العلم [١٨٨].

(٦) مرويات ابن الحَجَّامِ التي نقلها عنه طلاب العلم الأندلسيين إلى بلادهم

أدرك ابن الحَجَّامِ أهمية العلم، بالتأليف فيه وتقييد المرويات التي سمعها عن شيوخه، وكان شيخه عيسى بن مسكين قد روى لتلاميذه، عن شيوخه، أن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ/٦٨٧م)، قد نصح تلاميذه بتقييد العلم، أي كتابته [١٨٩]. وقد أجاز ابن الحَجَّامِ تلاميذه الأندلسيين، رواية كتبه، ومسموعاته[١٩٠]. ونستدل من الروايات أن معظم المرويات التي نقلها هؤلاء الطلاب عن شيخهم ابن الحَجَّامِ كانت من مسموعاته التي سمعها عن شيخيه عيسى بن مسكين، وأخيه محمد بن مسكين، عن شيخهما الإمام المُحدّث المُصَنِف محمد بن عبد الله بن سَنْجَر[١٩١]، الجُرجاني[١٩٢]، القُطابي [١٩٣]، نزيل مصر [١٩٤] . وكانت شهرة ابن سَنْجَر ومكانته العلمية قد جذبت كثير

---

[١٨٧] قرأه وعلق عليه رضوان بن صالح الحصري، دار التوحيد للنشر، الرياض، ٢٠١٦م.

[١٨٨] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص١٤٢، ١٤٣.

[١٨٩] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج١ ص٨٨.

[١٩٠] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص٤٥.

[١٩١] ابن ناصر الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج٥ ص١٨٣.

[١٩٢] السهمي، تاريخ جرجان، نشر د. محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م، رقم ٦٣٣ ص٣٣٧، السمعاني، الأنساب، طبعة عبد الله عمر البارودى، دار الجنان بيروت، ١٩٨٨م، ج٤ ص٥١٨. نسبة إلى مدينة جُرجان، وتقع في أقصى شمال بلاد فارس جنوبي شرقي بحر قزوين. وقد بدأ الفتح الإسلامى لها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٨هـ/٦٣٩م، ثم ارتد أهلها، فافتتحها يزيد بن المهلب في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٨هـ/٧١٦م، وقام بإعادة بنائها. وتعتبر جرجان أكبر مدن بلاد فارس، وكان لها مياه كثيرة وضياع عريضة وقلاع واسعة. وكان سكانها قبل الإسلام خليطًا من الفرس والترك، وبعد الفتح الإسلامى دخلها نفر من الصحابة والتابعين واستقر بعضهم مع أهلهم بها، وهاجرت إليها بعض عشائر القبائل العربية واستقرت بها، فامتزج العنصر العربى بالعناصر المحلية وغدت جرجان بلدًا

من طلاب العلم المغاربة والأندلسيين، فحرصوا على السماع منه أثناء رحلاتهم العلمية إلى مصر ومراكز الثقافة الإسلامية المشرقية، فقد رحل عيسى بن مسكين إلى المشرق رحلتين، غير أنه لم يسمع من ابن سَنْجَر فى رحلته الأولى قبل سنة ٢٥٠هـ/٨٦٦م، فرجع فى الثانية بسببه، فلما دخل مصر سنة ٢٥٨هـ/٨٧٢م، توجه إلى دار ابن سَنْجَر بقُطابة، لينهل من علمه، فلازمه واستفاد منه، فسمع كثيرًا منه، وكتب عنه مصنفاته[١٩٥]، ومنها: مُسْنَد ابن سَنْجَر، وهو كتاب في الحديث [١٩٦]، وهو من المسانيد المخرجة على أسماء الصحابة رضى الله عنهم، ويقع في

إسلاميًا (البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وزميله، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٦٧، ٤٦٩-٤٧١، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٢٤-٣٢٥، المقدسي، أحسن التقاسيم، طبعة د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٧٢-٢٧٤، السهمي، تاريخ جرجان، ص٤٤-٥٢، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، م٢ ص١١٩-١٢٢، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤١٨-٤٢١،

Donner (F.), the Early Islamic Conquests, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1981, p.438, Hartmann (R.)- Boyle (J.A.), Gurgan, The Encyclopedia of Islam, New Edition, Brill, Leiden, 1983, p.1141).

[١٩٣] نسبة إلى قُطابة (السهمي، تاريخ جرجان، ص ٣٣٧، السمعاني، الأنساب، ج٤ ص٥١٨، ابن الأثير، اللباب، ج٣ ص٤٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص٣٧٠)، من قرى صعيد مصر (الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص١٤٢، السيوطي، حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج١ ص٣٨٤، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢ ص١٣٨).

[١٩٤] الحميدى، جذوة المقتبس، رقم ٦٧١ ص٢٩٦، ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص١٨٢، الضبي، بغية الملتمس، رقم ١١٣٤ ص٤٠٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٩٢م، (حوادث ٢٥١-٢٦٠هـ)، ص٢٩٧، وله أيضًا: المعين في طبقات المحدثين، رقم ١١٦٤ ص١٠٢، محمد بن جعفر الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٤٦.

[١٩٥] القاضى عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٤٩٨.

[١٩٦] المالكي، رياض النفوس، ج١ ص٧٨، ٨٠-٨١، ٨٥، ٨٧، ١١٢، الحميدى، جذوة المقتبس، رقم ٦٧١ ص٢٩٦، الضبى، بغية الملتمس، رقم ١١٣٤ ص٤٠٠، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق إبراهيم اطفيش، دار الكتاب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٥٠ (تفسير سورة آل عمران)، ابن حجر العسقلاني، تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، ص١٨٧، البغدادي، هدية العارفين، م٢ ص١٦.

عشرين جزءًا [١٩٧]. وقد قرظ الفقيه أبو محمد على بن أحمد بن حزم القرطبي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٧م)، مُسْنَد ابن سَنْجَر واعتبره من الكتب الأَوْلَى بالتعظيم في الأندلس[١٩٨]. وقد انتقل مُسْنَد ابن سَنْجَر إلى الأندلس عن طريق طلاب العلم الأندلسيين الذين سمعوه بإفريقية من عبد الله بن مسرور ابن الحَجَّامِ، عن شيخيه عيسى بن مسكين، ومحمد بن مسكين[١٩٩]، فالروايات تذكر أن أبا عبد الله عبيد بن محمد بن أحمد القيسي القرطبي سمع مُسْنَد ابن سَنْجَر، عن عبد الله بن مسرور بالقيروان سنة ٣٤٢ه/٩٥٣م، عن شيخه عيسى بن مسكين، عن ابن سَنْجَر؛ وقد رواه أبو عبد الله عبيد بن محمد القيسي القرطبي لتلاميذه الأندلسيين، فقرأه عليه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (٣٦٢- ٤٦٣هـ/٩٧٣-١٠٧١م)[٢٠٠]، ودوّنه فى كتابه التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد[٢٠١]، وقد عثرنا في هذا الكتاب على بعض أحاديث مُسْنَد ابن سَنْجَر من طريق ابن الحَجَّامِ، فذكر ابن عبد البر: أخبرنا عبيد بن محمد، قال: حدثنا عبد الله بن مسرور، قال: حدثنا عيسى بن مسكين، قال: حدثنا

---

[١٩٧] ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص١٨٣. وانظر أيضًا: محمد بن جعفر الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٤٦، البغدادى، هدية العارفين، ج٢ ص١٦، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج١٠ ص٢١٨، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م، ج٧ ص٩٤.

[١٩٨] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص٢٠٣. وكان ابن حزم قد سمع هذا الكتاب من شيخه عبد الرحمن بن مسلمة الكناني، عن أحمد بن خليل، عن خالد بن سعد، عن أحمد بن عمرو بن منصور الإلبيري، عن ابن سَنْجَر بإسناده، وقد حدّث ابن حزم تلاميذه به، فأخذوه منه (الحميدى، جذوة المقتبس، رقم ٤٠٩ ص٢٠٥، رقم ٦٠١ ص٢٧٣، الضبى، بغية الملتمس، رقم ٦٩٥ ص٢٨١، رقم ١٠١٩ ص٣٦٤).

[١٩٩] المالكى، رياض النفوس، ج٢ ص٤٢٢-٤٢٤، ابن حجر العسقلاني، تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة ، ص١٣٩.

[٢٠٠] كان عالمًا بالقراءات وبالخلاف فى الفقه، وبعلوم الحديث والرجال، وكان قديم السماع كبير الشيوخ، على أنه لم يخرج عن الأندلس، فسمع من أكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها، ومن الغرباء القادمين إليها. وألف مما جمع تواليف نافعة سارت عنه. نذكر منها: التمهيد، والاستيعاب، وجامع بيان العلم وفضله (الحميدي، جذوة المقتبس، رقم ٨٧٤ ص٣٦٧-٣٦٩، ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه وعلق عليه الدكتور حسين يوسف خريوش، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٩م، ص٥٣٨-٥٤٤، الضبي، بغية الملتمس، رقم ١٤٤٣ ص٤٨٩- ٤٩٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص١٥٣-١٥٧، وله أيضًا: تذكرة الحفاظ، ج٣ ص١١٢٨- ١١٣٠).

[٢٠١] الحميدى، جذوة المقتبس، رقم ٦٧١ ص٢٩٦، ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص١٨٢، الضبى، بغية الملتمس، الضبى، بغية الملتمس، رقم ١١٣٤ ص٤٠٠.

ابن سنجر، قال: حدثنا موسى بن داود، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل قسم قسم في الجاهلية فهو على قسم الجاهلية وكل شيئ أدركه الإسلام ولم يقسم فهو على قسم الإسلام "[٢٠٢]. ومنها أيضًا: " أخبرنا عبيد بن محمد، قال: أخبرنا عبد الله بن مسرور، قال: حدثنا عيسى بن مسكين، وأخبرنا قاسم بن محمد، قال: حدثنا خالد بن سعد، قال: حدثنا أحمد بن عمرو، قالا جميعا: حدثنا محمد بن عبد الله بن سنجر، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني عياض أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إذا صلى أحدكم فلا يدري أثلاثا صلى أم أربعا فليتحر الصواب ثم ليسجد سجدتي السهو، وإذا أتى أحدكم الشيطان في صلاته فقال له إنك أحدثت، فلا ينصرف حتى يسمع بأذنيه صوته أو يجد ريحه بأنفه "[٢٠٣]، وغير ذلك من الروايات[٢٠٤].

وكان أبو عبد الله عبيد بن محمد القيسي القرطبي قد عاد من رحلته العلمية المشرقية الأولى بعد سنة ٣٤٢ه/٩٥٣م، فروى بالأندلس مسموعاته عن شيوخه، فسمع الناس منه كثيرًا، ومنهم: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م)[٢٠٥]. فمن المرجح أن يكون ابن الفرضي سمع منه أيضًا مسند ابن سَنْجَر من طريق ابن الحَجَّامِ.

وكان كتاب العين لابن سَنْجَر، وهو في كتاب الحديث أيضًا ويقع في ستة أجزاء[٢٠٦]. من الكتب التي سمعها ابن الحَجَّامِ عن شيخه عيسى بن مسكين بإفريقية، وقد رواه ابن الحَجَّامِ لتلاميذه المتحلقين حوله بالقيروان، فانتشر هناك، وأخذه عنه تلاميذه الأندلسيون وحدّثوا به في حلقاتهم، وقد أدخله تلميذه الفقيه المحدث أبو جعفر أحمد بن

---

[٢٠٢] ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، طبعة مصطفى بن أحمد العلوي، الرباط، ١٩٦٧م، ج٢ ص٤٨-٤٩.

[٢٠٣] ابن عبد البر، التمهيد، ج٥ ص٢٦.

[٢٠٤] ابن عبد البر، التمهيد، ج٥ ص٤٦، ج٧ ص٢٥٦-٢٥٧.

[٢٠٥] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ، رقم ١٠٠٤ ص ٣٤٢. وكان حافظًا متقنًا عالمًا ذا حظ وافر من الأدب، سمع بالأندلس خلق من أعلامها، وكان قد رحل في طلب العلم وتغرّب، فدخل مراكز الثقافة الإسلامية المغربية والمشرقية، وسمع في إفريقية، ومصر، والحجاز من مشاهير شيوخها، وأدى فريضة الحج ثم عاد إلى الأندلس فأدخل علمًا غزيرًا (الحميدي، جذوة المقتبس رقم ٥٣٧ ص٢٥٤-٢٥٥).

[٢٠٦] ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص١٨٣، البغدادى، هدية العارفين، ج٢ ص١٦، عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج١٠ ص٢١٨، الزركلي، الأعلام، ج٧ ص٩٤.

عَوْن الله بن حُدير البزاز القرطبي إلى الأندلس (ت٣٧٨ه/ ٩٨٨م)[٢٠٧]، وحدّث به[٢٠٨]. وكان تفسير محمد بن سَنْجَر، وهو كتاب كبير يقع في عشرين جزءًا [٢٠٩]، من بين المصنفات التي سمعها عيسى بن مسكين وكتبها عن شيخه ابن سَنْجَر، وعند عودته إلى إفريقية قام بروايته عنه، فسمعه منه خلق من تلاميذه بكورة الساحل، منهم: ابن الحَجَّامِ، ثم حدّث به ابن الحَجَّامِ طلاب العلم القيروانيين المتحلقين حوله، والأندلسيين الذين وفدوا على القيروان لينهلوا من علم شيوخها، فسمعه منه الحافظ المحدّث محمَّد بن عبد الملك بن ضَيْفون بن مروان اللخمي الرصافي القرطبي الحداد (٣٠٢-٣٩٤ه/٩١٨- ١٠٠٤م) [٢١٠]، وبعد أن اكتمل تحصيل ابن ضَيْفون اللخمي بمراكز الثقافة الإسلامية التي رحل إليها سنة ٣٣٨ه/٩٤٩م، عاد إلى الأندلس، وحدّث بما سمعه من شيوخه هناك، فقد كان شيخًا مسندًا [٢١١]، فكتب عنه أهل الأندلس، فكان كتاب تفسير ابن سَنْجَر مما قرأه عليه الحافظ أبو عمر بن عبد البر [٢١٢]، وقد حدّث ابن عبد البر تلاميذه بما أخذه من شيخه ابن ضيفون [٢١٣]. وجدير بالذكر أن ابن الفرضي قد تتلمذ على

---

[٢٠٧] كان يروى عن قاسم بن أصبغ البيانى، وعن أبى سعيد بن الأعرابى، ورحل فسمع بمكة، وبطرابلس الشام، ودمشق، ومصر، وجماعة يكثر تعدادهم، وروى عنه أبو عمر الطلمنكى، والأمام ابن دُنَيْن عبد الله بن عبد الرحمن الصدفي الطليطلي، وخلق (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، رقم ١٨٣ ص٥٤، الضبى، بغية الملتمس، ص١٩٨).

[٢٠٨] ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص١٨٣.

[٢٠٩] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص١٥٤، وله أيضًا: العبر، ج٢ ص٣١٦، ابن ناصر الدمشقي، توضيح المشتبه، ج٥ ص١٨٣.

[٢١٠] ابن ناصر الدمشقي، توضيح المشتبه، ج٥ ص١٨٣.

[٢١١] ابن ماكولا، الإكمال، ج٧ ص٤٠٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص١٥٤، **الذهبي**، تذكرة الحفاظ، ج٣ ص١١٢٨، ١١٣٠، ابن حجر العسقلاني، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، تحقيق على محمد البجاوى، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج٣ ص٦٣٣.

[٢١٢] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص١٥٤، وله أيضًا: العبر، ج٢ ص٣١٦، تذكرة الحفاظ، ج٣ ص١١٢٨، ابن ناصر، المشتبه، ج٥ ص١٨٣.

[٢١٣] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٣٩٣ ص١٠٨-١٠٩، ابن ماكولا، الإكمال، ج٧ ص٤٠٠، الحميدي، جذوة المقتبس، رقم ٩٩ ص٦٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص٥٦، العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣ ص٢٧٩.

ابن ضَيْفون وسمع منه روايات شيخه ابن الحَجَّامِ [٢١٤]. فمن المرجح أن يكون سمع من شيخه ابن ضَيْفون أيضًا مؤلفات ابن سَنْجَر برواية عبد الله بن مسرور.

وقد انصرف أبو القاسم مسلمة بن القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن حاتم القرطبي إلى الأندلس، وقد جمع علمًا كثيرًا، وكان رجلًا كبير القدر، وله تصانيف في علم الرجال، فجلس للرواية والحديث، فكان كما ذكر ابن حزم أحد المكثرين، فسمع الناس منه كثيرًا، حتى وفاته الاثنين لثمان بقين من جمادى الأولى (ت٣٥٣ه/٩٦٤م)، وهو ابن ستين سنة[٢١٥]. فمن المرجح أنه حدّث تلاميذه بما سمعه من مرويات شيخه ابن الحَجَّامِ، عن شيوخه، ومنها: مؤلفات ابن سَنْجَر الجُرجاني، وغيرها.

ولم ينقل طلاب العلم الأندلسيين عن شيخهم ابن الحَجَّامِ مصنفاته ورواياته الحديثية فحسب، إنما نقلوا عنه أيضًا أرائه النقدية في الرجال ومؤلفاتهم، خاصة علماء الأندلس المقيمين في إفريقية، فكان ابن الحَجَّامِ ينهي تلاميذه عن كتاب الزهد ليُمن بن رزق الزاهد، وكان يقيم بقصر الطوب ثم انتقل إلى دار الأربسي بسوسة [٢١٦]، فقد ذكر محمد بن عبد الملك بن ضَيْفون الأندلسي أن شيخه ابن الحَجَّامِ قال له بالقيروان: " لا تنظر في كتاب يُمن، فإنه كان صاحب وساوس " ، وقد روى ابن ضيفون هذه الرواية لتلاميذه، ومنهم: ابن الفرضي، فاحتفظ بها في كتابه تاريخ علماء الأندلس[٢١٧]. وكان كتاب الزهد ليمن بن رزق قد انتشر بإفريقية[٢١٨]، والأندلس[٢١٩]، برواية يحيى بن عمر.

(٧) وفاة ابن الحَجَّامِ واستمرار أثره العلمي غير المباشر في إفريقية والأندلس

وبعد عمر طويل في طلب العلم ونشره، فاضت روح عبد الله بن مسرور ابن الحَجَّامِ لتلقى بارئها في ليلة الجمعة لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٣٤٦ه/١٨ مارس ٩٥٨م)، وعمره سبع وثمانون سنة. ودفن بمقبرة باب

---

[٢١٤] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٢٠٠. ولمزيد من التفاصيل، راجع: ابراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، من جديد حول ابن سنجر الجرجاني نزيل مصر وانتقال مصنفاته إلى إفريقية والأندلس، المجلد الثالث، مجلة المخطوط، مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٢١م.

[٢١٥] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٤٢٣ ص١٢٨-١٣٠.

[٢١٦] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٦١٣ ص٢٠٠، المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٢١٢-٢١٣).

[٢١٧] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٦١٣ ص٢٠٠.

[٢١٨] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، رقم ١٦١٣ ص٢٠٠، المالكي، رياض النفوس، ج٢ ص٢١٢، ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص٣٤٤.

[٢١٩] ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص٣٤٤.

سلم، قرب شقران وأبي ميسرة [٢٢٠]. وكان سبب موته أنه اصطلى ونعس، فالتهمت النار بثيابه، واحترق إلا موضع سجوده [٢٢١]. ولم يتوقف عطاء ابن الحَجَّامِ لطلاب العلم القيروانيين والأندلسيين، بوفاته، إنما استمر من خلال سماعهم من مشاهير تلاميذه القيروانيين، وانتفاعهم بكتبه التي وقفها على طلاب العلم، وكانت عند ابن أبي زيد[٢٢٢]، فالروايات تذكر أن مرويات ابن الحَجَّامِ التي سمعها من شيخه عِيسَى بْنِ مِسْكِينٍ عَنْ سُحْنُونِ بْنِ سعيد، قد رواها تلميذه ابن أبي زيد لطلاب العلم الأندلسيين الذين تحلقوا حوله بالقيروان للقراءة عليه[٢٢٣]، وكان ابن أبي زيد قد حاز رئاسة الدين والدنيا، وانتشرت إمامته في العلم شرقًا وغربًا، وإليه كانت الرحلة من سائر الأقطار، وتفقه عنده جلة من القيروانيين والمغاربة والأندلسيين، وقد نجب أصحابه وكثر الآخذون عنه[٢٢٤].

واستمر عطاء ابن الحَجَّامِ لطلاب العلم الأندلسيين أيضًا بعد وفاته بطريق غير مباشر؛ من خلال تتلمذهم على مشاهير طلابه الأندلسيين، فقد روى أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)[٢٢٥]، مُسْنَد ابن سَنْجَر عن شيخه ابن عبد البر من طريق ابن الحَجَّامِ؛ وكان ابن عبد البر قد أجاز الحميدي رواية كتبه ومسموعاته[٢٢٦]، وأجاز ابن عبد البر أيضًا تلميذه أبا محمد بن عتاب رواية مسند ابن سَنْجَر، من طريق ابن الحَجَّامِ، فحدّث به تلاميذه، فأخذه منه أبو بكر محمد الإشبيلي (ت٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، إجازة [٢٢٧]. وقد أخذ أبو

---

[٢٢٠] عياض، ترتيب المدارك ، م٢، ص٤٦، ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٩.

[٢٢١] المالكي، رياض النفوس، م٢ ص٤٢٢، عياض، ترتيب المدارك ، م٢، ص٤٦، ابن فرحون ، الديباج المذهب، ج١ ص ١٢٤.

[٢٢٢] المالكى، رياض النفوس، ج٢ ص٤٢٣-٤٢٤، عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص ٤٤، الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص٥٨.

[٢٢٣] ذكر عياض أسماء بعضهم، منهم: أبو بكر موهب القبري، وابن عابد، وأبو عبد الله بن الحذاء، وأبو مروان القنازعي (ترتيب المدارك، م٢ ص ١٤٢). وانظر أيضًا: الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص١١٣-١١٤.

[٢٢٤] عياض، ترتيب المدارك، م٢ ص١٤٢. وكان ابن أبي زيد كثير البذل للغرباء وطلبة العلم، فكان ينفق عليهم، ويكسوهم، ويزودهم، وقد زوج أحد طلاب العلم الأندلسيين من ابنته (الدباغ، معالم الإيمان، ج٣ ص١٠٩، ١١٠، ١١٣-١١٥).

[٢٢٥] من الأئمة المشهورين في الفقه والحديث، وقد ألف كثيرًا من التصانيف تدل على معرفته وحفظه (الضبي، بغية الملتمس، رقم ٢٥٧ ص١٢٣-١٢٤، ابن سعيد، المغرب، ج٢ ص٤٦٧، المقري، نفح الطيب، م٢ ص١١٤).

[٢٢٦] الحميدى، جذوة المقتبس، ص٢، ٢٩٦، ٣٦٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص١٥٥، المقري، نفح الطيب، م٢ ص١١٣.

[٢٢٧] ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص١٨٢.

عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى بن محمد المقرئ الطلمنكي (ت٤٢٨ه/١٠٣٧م)[٢٢٨]، كتاب العين لابن سَنْجَر من الفقيه المحدث المشهور الإمام الرّحال أبي جعفر أحمد بن عَوْن الله بن حُدير البزاز القرطبي عن شيخه ابن الحَجَّامِ[٢٢٩]، وقد روى الفقيه المحدث الحافظ عالم أهل قرطبة أبو عمر الطلمنكي ذلك الكتاب، فأخذه عنه عنه تلاميذه، ومنهم: أبو محمد على بن أحمد بن حزم، وأبو عمر بن عبد البر، ورووه عنه[٢٣٠].

الخاتمة

بينت الدراسة دور الفقهاء القيروانيين والأندلسيين تلاميذ الإمام مالك بن أنس في التكوين الأول للمدرسة الفقهية المالكية ببلادهم. وكشفت عن التكوين العلمي المتين لعبد الله بن مسرور القيرواني المعروف بابن الحَجَّامِ، فقد تخرج على مشاهير أصحاب سحنون بن سعيد، وكانوا سراج أهل القيروان[٢٣١]، ورحل إلى الآفاق لطلب العلم، فلقى علماءها، ومحدثيها، فسمع منهم وكتب عنهم. وكشفت الدراسة عن تأثر ابن الحَجَّامِ بشيوخه واقتدائه بهم في كل أموره. واهتمامه بتقييد العلم، وإظهار مقدرته في الجمع والترتيب، والتصنيف، وقيامه بتأليف عدة كتب قيمة اعتمد في بعضها على مؤلفات الإمام مالك. فصار إمامًا فقيهًا حافظًا، وعلمًا من أعلام المالكية في إفريقية، وكشفت الدراسة أيضًا عن تبحر ابن الحَجَّامِ في رواية الفقه والحديث؛ وعن منهجه في تدريسهما رواية وإملاءً، وحرصه على حضور جميع تلاميذه المترددين عليه مجالس سماعه، وحزمه مع غير المبالين منهم.

وكشفت الدراسة عن وجوه استفادة طلاب العلم الأندلسيين الذين رحلوا إلى ابن الحَجَّامِ بالقيروان، فقد أخذوا منه مصنفاته سماعًا وكتابة، وكتبوا عنه ما انفرد به من روايات شيخيه عيسى ومحمد ابني مسكين، عن شيوخهما

---

[٢٢٨] منسوب إلى بلده Talamanca، وهي مدينة بالثغر الأوسط، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وبينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلًا، وتقع إلى شمال مجريط منحرفة قليلا نحو الشرق على بعد ثمانية وأربعين كم، الضبى، بغية الملتمس، رقم ١١٣٤ ص٤٠٠.(الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٨). وسمع الطلمنكي بالأندلس من ابن مفرج القاضى، وأبي جعفر بن عون الله وطبقتهما، ورحل فسمع جلة من الشيوخ. وكان إمامًا فى علوم القرآن؛ وصنف كثيرًا، وكان صاحب سنة واتباع، ومعرفة بأصول الديانة، وكان سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والبدع، قامعًا لهم (الحميدي، جذوة المقتبس، رقم ١٨٧ ص١١٤، الضبى، بغية الملتمس، رقم ٣٤٧ ص١٦٢، الذهبي، العبر، ج٢ ص٢٦٠-٢٦١).

[٢٢٩] ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص١٨٣. وقد أخذ منه أيضًا كثير من مرويات شيوخه المشارقة (المصدر السابق، ص٣٧٢).

[٢٣٠] ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص١٨٣.

[٢٣١] عياض، ترتيب المدارك، م١ ص٣٤٢-٣٤٣.

سحنون بن سعيد، وابن سَنْجَر الجرجاني نزيل مصر، وغيرهما. وقيامهم بروايتها - ومعظمها مفقود حتى الآن - لتلاميذهم، فدونوها في مؤلفاتهم، واحتفظوا به، فقدموا بذلك خدمة جليلة للعلم وطلابه. وكشفت الدراسة أن أولئك الطلاب نقلوا عن شيخهم ابن الحَجَّامِ أيضًا أرائه النقدية عن مؤلفات علماء الأندلس المقيمين في إفريقية. وكذا ساهم ابن الحَجَّامِ في التكوين العلمي لتلاميذه القيروانيين، والوافدين من المغرب، والأندلس، وغيرها، فصار بعضهم من مشاهير شيوخ الفقه والحديث ببلدانهم. وكشفت الدراسة عن موقف ابن الحَجَّامِ المالكي المعارض للمد الشيعي في إطار الصراع المذهبي بإفريقية وتأثر تلاميذه القيروانيين به، وكشفت أيضًا عن ميوله نحو الزهد وأثر ذلك في نزوع تلاميذه القيروانيين والأندلسيين إلى الزهد والتصوف. وأخيرًا بينت الدراسة أن عطاء ابن الحَجَّامِ لطلاب العلم استمر بعد وفاته من خلال تتلمذهم على مشاهير طلابه القيروانيين، وانتفاعهم بكتبه التي وقفها على طلاب العلم، ومن خلال سماعهم رواياته من تلاميذه الأندلسيين، خاصة رواياته لكتب ابن سَنْجَر.